

سلسلة دراسات السيرة النبوية

جائزة دبي للأدب والقرآن الكريم

وحدة البحوث والدراسات



حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

الشَّيْخُ مُرْفَا

بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

تأليف

العلامة الفاضل أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي

٤٧١ - ٥٤٤ هـ

وَالْعِزَّةُ الْمُنِيرَةُ

مقر نصوصه وخرج أحاديثه وعلوم عليه

عبد الله بن موسى

فصل

فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَالرُّؤْيَا
وإِمَامَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى

ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرُّفْعَةِ مِمَّا نَبَّهَ
عليه الكتاب العزيز ، وشرحته صَحَاحُ الْأَخْبَارِ ؛ قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ
آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ
الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا
كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ
رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١ ، ١٨] .

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ ، إذ هو نصُّ القرآن ،
وجاءت بتفصيله ، وشرح عجائبه ، وخواصِّ نبينا محمد ﷺ ، فيه أحاديثُ
كثيرة منتشرة ، رأينا أن نقدِّمَ أَكْمَلَهَا ، ونُشِيرَ إلى زيادةٍ من غيره يجبُ ذِكْرُهَا .

٤٣٢ - حدثنا القاضي الشهيد : أبو علي ، والفقيه أبو بحر بسماعي
عليهما ، والقاضي أبو عبد الله التميمي ، وغيرُ واحدٍ من شيوخنا ؛ قالوا :
حدثنا أبو العباس العُدْرِي (١) ، حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد
الجُلُودِي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شَيْبَانُ بن
فَرْوُخ ، حدثنا حمَّاد بن سَلَمَةَ ، حدثنا (٤٦/ب) ثابت البُنَّانِي ، عن أنس بن

(١) في المطبوع زيادة : « قالوا » ، وهي خطأ .

مالك [رضي الله عنه] أن رسول الله قال: «أُتِيَ بالبُرَاق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحِمَار ، ودون البَعْلِ ، يَضَعُ حَافِرُهُ عند منتهى طَرَفِهِ - قال: فركبته حتى أُتِيَ بَيْتُ المقدس ، فربطته بالحَلْقَةِ التي يَرِبُطُ بها الأنبياء ، ثم دخلتُ المسجدَ فصلَّيتُ فيه ركعتين ، ثم خرجتُ ، فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خَمَرٍ وإناءٍ من لَبَنٍ ، فاخترتُ اللبنَ ، فقال جبريلُ : اخترتَ الفِطْرَةَ .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء ، فاستَفْتَحَ جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ؟ قال : جبريلُ . قيل : وَمَنْ مَعَكَ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليه؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، فَفُتِحَ لنا ، فإذا أنا بآدَمَ ﷺ ، فرحَّبَ بي ، ودعَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستَفْتَحَ جبريلُ ، فقيل^(١) : مَنْ أَنْتَ؟ قال : جبريلُ . قيل : وَمَنْ مَعَكَ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليه؟ قال : قد بُعِثَ إليه . فَفُتِحَ لنا ، فإذا أنا بابْنِي الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما ؛ فرحَّبَا بي ، ودعَوَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ، فَفُتِحَ لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ، فرحَّبَ بي ، ودعَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ، ودعَا لي بخير ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة : فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ، ودعَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ، ودعَا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى البيت المعمور ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يعودون إليه .

(١) في نسخة : «قيل» .

ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، فإذا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ ، وإذا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ ، قال : فلما غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ (١/٤٧) أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، ففَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ، فقال : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمْتُكَ ؟ قلت : خَمْسِينَ صَلَاةً . قال : ارجع إلى رَبِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمْتُكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ .

قال : فرجعتُ إلى رَبِّي ، فقلتُ : يَا رَبِّ ! خَفِّفْ عَنِّي أُمْتِي . فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فرجعتُ إلى مُوسَى ، فقلتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قال : إِنَّ أُمْتُكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فارجع إلى رَبِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ . قال : فلم أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ؛ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ .

قال : فنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ، فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقَالَ : ارجع إلى رَبِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ .

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «فقلتُ : قد رجعتُ إلى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» (١) .

قال المؤلف (٢) : جَوَّدَ ثَابِتٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ مَا شَاءَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأُصُوبٍ مِنْ هَذَا .

٤٣٣ - وَقَدْ خَلَطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ تَخْلِيطًا كَثِيرًا ، لَا سِيَّامَا مِنْ رِوَايَةِ

(١) أَسْنَدُهُ الْمُصَنِّفُ مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمَ (١٦٢) . (سَدْرَةُ الْمُنْتَهَى) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُفَسِّرُونَ وَغَيْرُهُمْ : سَمِيتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى لِأَنَّ عِلْمَ الْمَلَائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَجَاوِزْهَا أَحَدٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ) الْقَلَالُ : جَمْعُ قَلَّةٍ ، وَهِيَ الْجَرَّةُ الْكَبِيرَةُ .

(٢) فِي نَسَخَةٍ : «الْقَاضِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» .

شريك بن أبي نمر^(١)؛ فقد ذكر في أوله مجيء الملك له ، وشقَّ بطنه ، وغسله بماء زمزم ؛ وهذا إنما كان وهو صبي ، وقَبْل الوحي^(٢) .

وقد قال شريك في حديثه : وذلك «قبل^(٣) أن يُوحى إليه» وذكر قصة الإسراء . ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي .

وقد قال غير واحد^(٤) : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قبل هذا .

٤٣٤ - وقد رَوَى ثابت عن أنس - من رواية حماد بن سلمة^(٥) - أيضاً مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وهو يلعب مع الغلمان^(٦) عند ظئره^(٧) ، وشقَّ قلبه تلك القصة مفردة^(٨) من حديث (٤٧/ب) الإسراء كما رواه الناس ، فجَوَّدَ في

(١) رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس . أخرجه البخاري (٧٥١٧) ، ومسلم (٢٦٢/١٦٢) وفي رواية شريك هذه أوهام أنكرها العلماء . انظر الفتح ٤٨٠/١٣ .

(٢) بل شقَّ صدره الشريف أربع مرات . الأولى : عندما كان في مضارب حليلة . ثبت ذلك من حديث أنس بن مالك عند مسلم في صحيحه برقم (١٦٢) .

الثانية : عندما كان ابن عشر حجج . روى ذلك عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٣٩/٥) وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء المقدسي في «المختارة» من حديث أبي ابن كعب . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٨) : «رجاله ثقات» .

الثالثة : عند مجيء جبريل - عليه السلام - بالوحي إليه حين نبئ . ثبت ذلك عند الطيالسي ، والحاثر في مسندهما ، والبيهقي وأبي نعيم في دلائلهم من حديث عائشة .

الرابعة : ليلة الإسراء كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٦٠/١) : وروي - أي شق الصدر - مرة أخرى خامسة ، ولا تثبت . وانظر الحكمة من شق صدره الشريف في كل مرة ، في الفتح (٢٠٤-٢٠٥) .

(٣) هذه الكلمة - هنا - أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والنووي . والقاضي عياض كما ترى . انظر الفتح ٤٨٠/١٣ .

(٤) في نسخة : «وقد قال غيره» .

(٥) رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس في شق صدره ﷺ حينما كان يلعب مع الغلمان ، أخرجه مسلم (٢٦١/١٦٢) .

(٦) في نسخة : «الصبيان» .

(٧) ظئره : مرضعته .

(٨) في نسخة : «بتلك القصة مفردة» .

القصتين ، وفي أَنَّ الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصةً واحدة ، وأنه وصل إلى بيت المقدس ، ثم عرج [به] من هناك ، فأزاح كلَّ إشكال أوهمه غيره .

٤٣٥ - وقد رَوَى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال : كان أبو ذرٍّ يحدثُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : «فُرَجَ سَقْفُ بيتي ، [وأنا بمكة]»^(١) فنزل جبريلُ ، ففَرَجَ صَدْرِي ، ثم غَسَلَهُ مِنْ ماءٍ زمزم ، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفَرَّغَهَا في صَدْرِي ، ثم أَطْبَقَهُ ، ثم أخذ بيدي فَعَرَجَ بنا^(٢) إلى السماء...»^(٣) فذكر القصة .

٤٣٦ - وروى قَتَادَةُ الحديثَ ، بمثله ، عن أنس ، عن مالك بن صَعْصَعَةَ^(٤) ، وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقصٌ ، وخلافٌ في ترتيب الأنبياء في السموات .

وحديثُ ثابت ، عن أنس^(٥) ، أتقن وأجودُ .

وقد وَقَعَتْ في حديث الإسراء ، زياداتٌ نذكرُ منها نكتاً مفيدة في غرضنا :

٤٣٧ - منها في حديث ابن شهاب ، وفيه : قولُ كل نبيٍّ له : «مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح» إلا آدم وإبراهيم فإنهما قالَا له : «والابن الصالح»^(٦) .

٤٣٨ - وفيه ، من طريق ابن عباس : «ثم عَرَجَ بي حتى ظَهَرْتُ لمستوًى»^(٧) أسمعُ فيه صريرَ الأقلام»^(٨) .

(١) ما بين حاصرتين من البخاري ومسلم .

(٢) في نسخة : «بي» ، وهي رواية البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) من طريق يونس ، به . وسيأتي برقم (٤٥٥) و(٤٦١) . (فُرَجَ) : فُتِحَ . (فَفَرَجَ صَدْرِي) : أَي شَقَّهُ . (الطست) : إناء معروف .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

(٥) أي المتقدم برقم (٤٣٢) .

(٦) تقدم حديث ابن شهاب الزهري عن أنس برقم (٤٣٥) .

(٧) في الأصل : «على مستوًى» . وفي هامشه : «بمستوًى» . والمثبت من البخاري ومسلم .

(٨) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) من طريق ابن شهاب الزهري ، أخبرني ابن حزم ، =

٤٣٩ - وعن أنس: «ثم انطلق بي حتى أتيت سِدْرَةَ الْمُتَهَيِّ ، فغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثم أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ»^(١).

٤٤٠ - وفي حديث مالك بن صَعَصَعَةَ: «فلما جاوزته - يعني: موسى - بكى ، فنُودِيَ: ما يُبْكِيكَ؟ قال: رب! هذا غلامٌ بعثته بَعْدِي يَدْخُلُ من أُمته الجنةَ أَكْثَرَ ممَّا يَدْخُلُ من أُمِّي»^(٢).

٤٤١ - وفي حديث أبي هريرة [رضي الله عنه]: «وقد رأيتني في جماعةٍ من الأنبياء ، فحانت الصلاةُ ، فأَمَمْتُهُمْ ، فقال قائل: يا مُحَمَّدُ! هذا مالِكُ خازِنُ النار ، فسَلَّمَ عليه . فالتفتُ فبدأنِي بالسَّلام»^(٣).

٤٤١م - وفي حديث أبي هريرة: ثم سار حتى أتى [إلى] بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، فصلَّى مع الملائكة ، فلما قُضِيَت الصلاةُ قالوا: يا جبريلُ! مَنْ هذا معك؟ قال: هذا محمد (١/٤٨) رسول الله ، خاتمُ النَّبِيِّينَ . قالوا: وقد أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم . قالوا: حيَّاهُ اللهُ مِنْ أَخٍ وخليفةٍ ، فَنِعَمَ الْأَخُ ونعم الخليفةُ! ثم لَقُوا أرواحَ الأنبياءِ فَأَثْنُوا على رَبِّهِمْ ، وذكر كلامَ كُلِّ واحدٍ منهم ، وهم: إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان .

ثم ذكر كلامَ النبي ﷺ ، فقال: «وإنَّ محمداً ﷺ أثنى على ربِّه [عزَّ وجلَّ] فقال: «كلِّمَ أَثْنَى على ربِّه ، وأنا أَثْنِي على ربِّي: الحمد لله الذي أرسَلَنِي رحمةً للعالمين ، وكافةً للناسِ بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليَّ الْفُرْقَانَ فيه تَبَيَّانُ كل شيء . وجعل أُمِّي خَيْرَ أُمَّةٍ ، وجعل أُمِّي أُمَّةً وَسْطاً ، وجعل أُمِّي هم

= أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج وسيأتي برقم (٤٥٥م) . (حتى ظهرت): أي ارتفعت . (المستوى): المصعد . (صريف الأقلام): تصويتها حال الكتابة: والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى / الفتح ١/ ٤٦٢ .

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣/ ٢٦٣) .

(٢) تقدم حديث أنس عن مالك بن صَعَصَعَةَ برقم (٤٣٦) .

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (١٧٢) . وتقدم طرف منه برقم (٣٥٠) ، وسيأتي طرف منه أيضاً برقم (٤٦٣) .

الأولون ، وهم الآخرون ، وشرح لي صَدْرِي ، ووضع عني وِزْرِي ، ورفع لي ذِكْرِي ، وجعلني فاتحاً وخاتماً» .

فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمدٌ .

ثم ذكر أنه عَرَجَ به إلى السماء الدنيا ، ومن سماءٍ إلى سماءٍ ، نحو ما تقدم ^(١) .

٤٤٢ - وفي حديث ابن مسعود : «وانتهى بي إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وهي في السماء السادسة ، إليها يَنْتَهِي ما يُعْرَجُ به من الأرض فيَقْبَضُ منها ، وإليها يَنْتَهِي ما يَهْبِطُ من فوقها فيَقْبَضُ منها ؛ قال : ﴿ إِذْ يَنْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى ﴾ [النجم : ١٦] . قال : «فَرَأَسُ من ذَهَبٍ» ^(٢) .

٤٤٣ - وفي رواية أبي هريرة ، من طريق الربيع بن أنس . «ف قيل لي : هذه السِّدْرَةُ الْمُنتَهَى يَنْتَهِي إليها كلُّ أحدٍ من أُمَّتِكَ خَلَا على سبيلك ، وهي السِّدْرَةُ المنتهى ، يخرجُ من أصلها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ ، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرَ طعمُهُ ، وأنهارٌ مِنْ خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وأنهارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى ، وهي شجرةٌ يسير الراكبُ في ظلِّها سبعين عاماً ، وإنَّ ورقةً منها مُطَّلَّةٌ الْخَلْقَ ، فغَشِيَهَا نورٌ ، وغشيتها الملائكةُ . قال : فهو قوله : ﴿ إِذْ يَنْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى ﴾ [النجم : ١٦] .

فقال [الله] تبارك وتعالى له : سَلْ . فقال : إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبراهيمَ خليلاً ^(٣) ، وأعطيته مُلْكاً عظيماً . وكَلَّمْتَ موسى تكليماً ، وأَعْطَيْتَ داودَ مُلْكاً عظيماً ، وَأَلَنْتَ له الحديدَ ، وسَخَّرْتَ له الجبالَ ، وأَعْطَيْتَ سليمانَ مُلْكاً عظيماً ، وسَخَّرْتَ له الجنَّ (٤٨/ب) والإنسَ والشیاطینَ والرياحَ ، وأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمْتَ عيسى ^(٤) التوراةَ والإنجيلَ ، وجعلته يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه برقم (٤٠٠) وسيأتي جزء منه برقم (٤٤٣) .

(٢) رواه ابن عرفة وأبو نعيم في الدلائل / المناهل (٣٩٦) . قلت : وأخرجه مسلم (١٧٣) من قول ابن مسعود . وسيأتي طرف منه برقم (٤٤٤) .

(٣) في نسخة : «حبيباً» .

(٤) في المطبوع : «موسى» ، وهو خطأ .

والأَبْرَصَ ، وأَعَذَّتْهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فلم يكن له عليهما سبيل .

فقال له ربُّه تعالى : قَدْ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا . فهو مكتوبٌ في التوراة : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلْتُكَ إلى النَّاسِ كَافَّةً ، وجعلْتُ أُمَّتَكَ هُمَ الْأَوَّلُونَ ، وهم الآخِرُونَ ، وجعلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ حُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وجعلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا ، وآخرهم بَعَثًا ، وأعطيتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ، ولم أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وأعطيتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وجعلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا^(١) .

٤٤٤ - وفي الرواية الأخرى قال : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ - لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ - الْمُقْحِمَاتُ^(٢) .

٤٤٥ - وقال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ﴿١١﴾ أَمْتُرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿ النجم : ١١ ، ١٢ ﴾ : رأى جبريل في صورته له سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ^(٣) .

٤٤٦ - وفي حديث شريك : أنه رأى موسى في السابعة ، قال : بتفضيل كلام الله .

قال : ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ؛ فقال موسى : لَمْ أَظَنَّ أَنَّ يُزْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ^(٤) .

٤٤٧ - وقد روي عن أنس أنه ﷺ صلى بالأنبياء بيت المقدس^(٥) .

٤٤٨ - وعن أنس [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : «بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ

(١) هو طرف من الحديث المتقدم برقم (٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٤١ م) وسيأتي طرف منه برقم (٦٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود . وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٤٤٢) . (المُقْحِمَاتُ) : الذنوب العظام الكبائر .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣٢) ، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود . وسيأتي برقم (١٠٩٧) .

(٤) تقدم حديث شريك بن أبي نمر عن أنس برقم (٤٣٣) وهو متفق عليه .

(٥) ذكره الحافظ في الفتح ٢٠٨/٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم . وروى مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة : «فحانت الصلاة فأمتهم» . وقد تقدم برقم (٤٤١) .

ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام ، فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَقَمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا
مِثْلُ وَكَرَيِ الطَّائِرِ ، فَقَعَدْتُ فِي وَاحِدَةٍ وَقَعَدْتُ فِي الْأُخْرَى ، فَنَمْتُ حَتَّى سَدَّتْ
الْخَافِقَيْنِ^(١) . وَلَوْ شِئْتُ لَمَسَسْتُ السَّمَاءَ ، وَأَنَا أَقْلُبُ طَرْفِي ، وَنَظَرْتُ جَبْرِيلَ
كَأَنَّهُ جَلَسَ لَاطِيءٍ ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ ، وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ ،
وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ ، وَإِذَا^(٢) دُونِي الْحِجَابُ ، وَفُرْجُهُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، ثُمَّ
أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ^(٣) .

٤٤٩ - وذكر^(٤) البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما أراد الله
تعالى أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ الْأَذَانَ جَاءَ جَبْرِيلُ بِدَائِةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ ، فَذَهَبَ يَرْكُبُهَا ،
فَاسْتَصَعَبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا جَبْرِيلُ : اسْكُنِي ، فَوَاللَّهِ ! مَا رَكِبْتُ عَبْدٌ أَكْرَمُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَرَكِبَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الْحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرَّحْمَنَ
تَعَالَى ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا
جَبْرِيلُ ! مَنْ هَذَا؟» .

قال : والذي بعثك بالحق ! إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا المَلَكُ
ما رأيته منذ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ . فَقَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ (٤٩/أ)
فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي ، أَنَا أَكْبَرُ . أَنَا أَكْبَرُ .

ثم قال المَلَكُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ
عَبْدِي ، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا .

(١) في رواية البزار ومجمع الزوائد : «فَسَمْتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدَّتْ الْخَافِقَيْنِ» .

(٢) في المطبوع : «وَلَطَّ» ، ومعناه : أُرْخِي . .

(٣) أخرجه البزار (٥٨) وغيره . قال الهيثمي في المجمع رقم (٢٣٩) : «رواه البزار والطبراني في
الأوسط ورجاله رجال الصحيح» . وقال الحافظ في الفتح ١٩٨/٧ : «ورجاله لا بأس بهم ،
إلا أن الدارقطني . ذكر له علة تقتضي إرساله» . وقال ابن كثير في تفسير سورة والنجم : «فهذا
الحديث من غرائب رواياته - أي روايات الحارث بن عبيد - فإن فيه نكارة ، وغرابة ألفاظ ،
وسياقاً عجيباً ، ولعله منام ، والله أعلم» .

(جَلَسَ لَاطِيءٌ) : الْجَلْسُ : كَسَاءُ يَلِي ظَهْرَ الْبَعِيرِ . (لَاطِيءٌ) : لَازِقٌ .

(٤) في الأصل : «وعن» وفوقها أثبت الناسخ : «وَذَكَرَ» ، نسخة .

وذكر مثل هذا في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح .

وقال : ثم أخذ الملك بيد محمد ، فقدمه ، فأَمَّ أهل السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر : محمد بن علي بن الحسين ، راويه : أكمل الله [تعالى] لمحمد ﷺ الشرف على أهل السموات والأرض^(١) .

قال المؤلف رحمه الله : ما في هذا الحديث من ذِكْرِ الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والباري جلّ اسمه منزّه عما يحجبّه ، إذ الحُجْبُ إنما تُحِيطُ بمقدّر محسوس ، ولكن حُجْبُهُ على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ، ومتى شاء ، كقوله [تعالى] : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

فقوله في هذا الحديث : «الحجاب» ، و«إذ خرج ملك من الحجاب» يجب أن يقال : إنه حجابٌ حَجَبَ به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سُلْطانه وعظمته ، وعجائب ملكوته وجبروته .

ويدلّ عليه^(٢) من الحديث قولُ جبريل - عن الملك الذي خرج من وراءه : «إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ» .

فدلّ [على] أن هذا الحجاب لم يختصّ بالذات .

ويدلّ عليه قولُ كعب في تفسير : «سِدْرَةُ الْمُتَهَيَّ» قال : إليها ينتهي علمُ الملائكة ، وعندها يجدون أمرَ الله ، لا يجاوزها علمُهم .

وأما قوله : «الَّذِي يَلِيّ الرَّحْمَنَ» فيُحْمَلُ على حَذْفِ المضاف ، أي يَلِيّ عَرْشَ الرَّحْمَنِ ، أو أمراً ، من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه ، مما

(١) أخرجه البزار (٣٥٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٢٨ - ٣٢٩ : «فيه زياد بن المنذر مجمع على ضعفه» . وسيأتي برقم (٤٩٣) .

(٢) في الأصل زيادة : «قول كعب في تفسير» ، ولا وجه لها . ولم ترد في المطبوع .

هو أعلمُ به ، كما قال تعالى : ﴿ وَسَلِّ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] أي : أهلها .

وقوله : فقيل من وراء الحجاب «صدق [عبدِي] ، أنا أكبر» فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلامَ الله ، ولكن من وراء حجاب ، كما قال : ﴿ وَمَا كَانَ (٤٩/ب) لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] ؛ أي : وهو لا يراه ، حجبَ بصره عن رؤيته .

فإن صحَّ القول بأنَّ محمداً ﷺ رأى ربّه [عز وجل] فيُحتمل أنه في غير هذا الموطن . بعد هذا أو قبله ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه . والله أعلم^(١) .

فصل

[فِي حَقِيقَةِ الْإِسْرَاءِ ، هَلْ كَانَ بِالرُّوحِ أَمْ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ]^(٢)

ثم اختلف السلف والعلماء : هل كان أسري^(٣) بروحه أو جسده ؟ على ثلاث مقالات : فذهبت طائفةٌ إلى أنه إسرائ بالروح ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حقٌ ووحي ، وإلى هذا ذهب معاوية .

وحكى عن الحسن ، والمشهور عنه خلافة ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ، وحجتهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] .

٤٥٠ - وما حكوا عن عائشة أنها قالت : ما فقدتُ جسدَ رسولِ الله ﷺ^(٤) .

(١) سيأتي بحث الرؤية عقب الفصلين التاليين .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

(٣) في المطبوع : «إسراء» .

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (٢٩٥) قال : حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول : «ما فقدتُ جسدَ رسولِ الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه» وهذا إسناد فيه جهالة . وسورده المصنف برقم (٤٧١) وهناك يناقش قولها هذا .

٤٥١ - وقوله : «بينا أنا نائم»^(١) .

٤٥٢ - وقول أنس : وهو نائم في المسجد الحرام . . وذكر القصة ، ثم قال في آخرها : «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام»^(٢) .

وذهب مُعْظَمُ السَّلَفِ والمسلمين إلى أنه إسرائ بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحق ، وهذا^(٣) قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعُمر ، وأبي هريرة ، ومالك بن صَعَصَعَةَ ، وأبي حَبَّةَ البَذْرِي ، وابن مسعود ، والضَّحَّاك ، وسعيد بن جُبَيْر ، وقتادة ، وابن المسيَّب ، وابن شهاب ، وابن زَيْد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جُرَيْج ، وهو دليل قول عائشة^(٤) ، وهو قول الطبري ، وابن حنبل ، وجماعة عظيمة من المسلمين ، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

وقالت طائفة : كان الإسرائ بالجسد يَقْظَةً إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله [تعالى] : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء : ١] ، فجعل ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ غاية الإسرائ الذي وقع التعجُّب فيه بعظيم القدرة ، والتمدُّح بتشريف النبي محمد ﷺ به ، وإظهار الكرامة له بالإسرائ إليه .

قال هؤلاء : ولو كان الإسرائ بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى (١/٥٠) لذكره ؛ فيكون أبلغ في المدح .

ثم اختلفت هذه^(٥) الفرقتان : هل صلَّى ببيت المقدس ، أم لا ؟

-
- (١) أخرجه أحمد - كما في الفتح ٢٠٤/٧ - من حديث أنس عن مالك بن صَعَصَعَةَ .
 - (٢) أخرجه البخاري (٧٥١٧) ، ومسلم (٢٦٢/١٦٢) من حديث شريك بن أبي نمر ، عن أنس ابن مالك .
 - (٣) في المطبوع : «وهو» .
 - (٤) قول عائشة سيأتي برقم (٤٧٢) . وانظر ما قاله المصنف في الحديث الآتي برقم (٤٧١) .
 - (٥) في نسخة : «هاتان» .

٤٥٣ - ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه^(١).

٤٥٤ - وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان ، وقال : والله ! ما زالا عن ظَهْرِ الْبُرَاقِ حتى رجعا^(٢).

قال المؤلف : والحق من هذا والصحيح - إن شاء الله - أنه إسرائٌ بالجسد والروح في القصة كلها ، وعليه تدلُّ الآية ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار ، ولا يُعَدَّلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس في الإسرائِ بجسده وحالٍ يقظته استحالةٌ ؛ إذ لو كان مناماً لقال : برُّوح عبده ، ولم يَقُلْ : ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم : ١٧] ، ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزةٌ ، ولما استبعده الكفار ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتدَّ به ضُعفاءٌ من أسلم ، واقتنوا به ؛ إذ مثلُ هذا من المنامات لا يُنْكَرُ ؛ بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أنَّ خبره إنما كان عن جسمه وحالٍ يقظته ، إلى ما ذُكِرَ في الحديث من ذِكرِ صلاته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس - أو [في] السماء على ما رَوَى غَيْرُهُ - وذِكرِ مجيء جبريل له بالبراق ، وخبرِ المعراج ، واستفتاح السماء ؛ فيقال : مَنْ معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها ، وخبرهم معه ، وتزجيهم به ، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتها مع موسى في ذلك .

٤٥٥ - وفي بعض هذه الأخبار : « فأخذ - يعني جبريل - بيدي فَعَرَجَ بي إلى السماء ... »^(٣).

٤٥٥م - إلى قوله : « ثم عَرَجَ بي حتى ظهرتُ بمُسْتَوًى أَسْمَعُ فيه صَرِيفَ

(١) تقدم حديث أنس برقم (٤٤٧) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤٧) ، وأحمد (٣٨٧/٥) وغيره ، وصححه الحاكم (٣٥٩/٢) ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً ابن حبان (٣٣) موارد . وهناك استوفينا تخريجه .

(٣) متفق عليه . وقد تقدم برقم (٤٣٥) وسيأتي برقم (٤٦١) .

الأقلام»^(١) وأنه وصل إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وأنه دخل الجنة ، ورأى فيها ما ذكره .

٤٥٦ - قال ابن عباس : هي رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ^(٢) .

٤٥٧ - وعن الحسن فيه : «بينا أنا نائم^(٣) في الحِجْر إذ جاءني جبريل فهمزني بعقبه ، فقمْتُ فجلستُ فلم أَرْ شيئاً ، فعُدْتُ لَمْضَجِي - فذكر ذلك ثلاثاً - فقال في الثالثة : «فأخذ بعضُدي فجرّني إلى باب المسجد فإذا بدابة» . وذكر خبر البراق^(٤) .

٤٥٨ - وعن أمِّ هانئ : ما أُسْرِي برسول الله ﷺ (٥٠/ب) إلا وهو في بيتي ، تلك الليلة صلى العِشاء الآخرة ، ونام بيننا ، فلما كان قبيل الفجر أَهَبْنَا رسولَ الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا قال : «يا أمِّ هانئ ! لقد صليتُ معكم العِشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصليتُ فيه ، ثم صليت الغداةَ معكم الآن كما تَرَوْنَ»^(٥) .

(١) متفق عليه . وقد تقدم (٤٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨) .

(٣) في الأصل : «جالس» والمثبت من هامش الأصل ، نسخة .

(٤) أخرجه ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ٣٩٧/١ - عن الحسن مرسلًا . وفي إسناده جهالة . (همزني) : غمزني .

(٥) أخرجه ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ٤٠٢/١ - فيما بلغه عن أم هانئ . . . وهذا إسناده منقطع . وأخرجه الطبري في التفسير ٢/١٥ من طريق محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح بإذام ، عن أم هانئ ، وهذا إسناده فيه الكلبي ، مُتَّهَمٌ بالكذب . وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (٢٤٠) . وقال : «رواه الطبراني في الكبير (٤٣٢/٢٤) برقم (١٥٩) وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك كذاب ، وأخرجه مطولاً أبو يعلى في المعجم (١٠) وفيه : «دَخَلَ عَلَيَّ رسول الله ﷺ بِغَلَسٍ ، وأنا على فراشي ، فقال : شعرتُ أَنِّي نِمْتُ الليلة في المسجد الحرام ، فأتاني جبريل عليه السلام ، فذهب بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض . . . » قال الحافظ في الإصابة ١٣/١٤٩ - ١٥٠ : «وهذا أصح من رواية الكلبي - أي الرواية التي ذكرها القاضي عياض - فإن في روايته من المنكر أنه ﷺ صلى العِشاء الآخرة والصبح معهم . وإنما فرضت الصلاة ليلة المعراج ، وكذا نومه تلك الليلة في بيت أم هانئ ، وإنما نام في المسجد» . (أهَبْنَا) : أيقظنا .

وهذا يَبَيِّنُ في أنه بجسمه .

٤٥٩ - وعن أبي بكر - من رواية شدّاد بن أوّس عنه - أنه قال للنبي ﷺ ليلة أُسْرِيَ به : طلبتُك يا رسولَ الله ! البارحة في مكانك فلم أجِدْكَ . فأجابه : إن جبريلَ - عليه السلام - حمّله ^(١) إلى المسجد الأقصى ^(٢) .

٤٦٠ - وعن عُمر [رضي الله عنه] قال : قال رسولُ الله ﷺ : «صَلَّيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي مَقْدَمِ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ دَخَلْتُ الصَّخْرَةَ فَإِذَا بِمَلَكٍ قَائِمٍ مَعَهُ آيَةٌ ثَلَاثٌ . . .» وذكر الحديث ^(٣) .

وهذه التصريحاتُ ظاهرةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ ، فَتُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا .

٤٦١ - وعن أبي ذرٍّ ، عنه ﷺ : «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ، فَشَرَحَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ . . .» إلى آخر القصة «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَعَرَجَ بِي» ^(٤) .

٤٦٢ - وعن أنس : «أُتِيتُ فَأَنْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ ، فَشَرَحَ عَن صَدْرِي» ^(٥) .

٤٦٣ - وعن أبي هريرة : «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ ، وَقَرِيشٌ تَسْأَلُنِي عَن مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْنِي عَن أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كَرْباً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ» ^(٦) .

(١) في المطبوع : «حملني» .

(٢) أخرجه البزار (٥٣) ، والطبراني (٧١٤٢) ، والبيهقي في الدلائل ٣٥٥/٢ - ٣٥٧ . وقال :

«هذا إسناد صحيح» . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٤٢/١ رقم (٢٣٧) : «فيه إسحاق بن

إبراهيم بن العلاء ، وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائي» .

(٣) رواه ابن مردويه / المناهل (٤٠٥) .

(٤) تقدم حديث أنس عن أبي ذر برقم (٤٣٥) و(٤٥٥) ، وهو متفق عليه .

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٠/١٦٢) بلفظ حديثنا . وفي المطبوع : «فأنطلق» .

(٦) أخرجه مسلم (١٧٢) ، وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٣٥٠ ، ٤٤١) . (لم أثبتها) :

أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها . (الكرب) : الغم الذي يأخذ بالنفس .

٤٦٤ - ونحوه عن جابر^(١).

٤٦٥ - وقد رَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلْتُ عَنْ جَانِبِهَا»^(٢).

فصل

فِي إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا نَوْمٌ

احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾
[الإسراء: ٦٠] ، فسَمَّاهَا رُؤْيَا.

قلنا: قوله [سبحانه وتعالى]: ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] يَرُدُّهُ؛
لأنه لَا يُقَالُ فِي النَّوْمِ: أَسْرَى.

وقوله: ﴿فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾. يُؤَيِّدُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ ، وَإِسْرَاءُ شَخْصٍ^(٣)؛ إِذْ لَيْسَ
فِي الْحُلْمِ فِتْنَةٌ. وَلَا يَكْذِبُ بِهِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنْ
الْكُونِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَقْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ.

عَلَى أَنَّ الْمَفْسِّرِينَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ (١/٥١) آيَةٍ؛ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا
نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَمَا وَقَعَ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ. وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا.
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ قَدْ سَمَّاهَا فِي الْحَدِيثِ مَنَامًا.

٤٦٦ - وقوله في حديث آخر: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»^(٤).

٤٦٧ - وقوله أيضاً: وهو نائم. وقوله: «ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ»^(٥) فلا حُجَّةَ فِيهِ؛ إِذْ

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦) ، ومسلم (١٧٠).

(٢) فقرة من الحديث المتقدم برقم (٤٦٠).

(٣) في المطبوع: «بشخص».

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة. وسيعيده
المصنف برقم (٤٧٠).

(٥) تقدم برقم (٤٥٢) من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس.

[قد] يحتملُ أنَّ أول وصولِ المَلِكِ إليه كان وهو نائم ، أو أن أول حَمَلِهِ والإسراءِ به وهو نائم ، وليس في الحديث أنه كان نائماً في القَضِيَّةِ^(١) كُلِّهَا إلا ما يدلُّ عليه قوله^(٢) : «ثم استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام» فلعل قوله : «استيقظتُ» بمعنى أَصْبَحْتُ ، أو استيقظ من نَوْمٍ آخر بعد وصوله بيته .

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله ، وإنما كان في بعضه .

وقد يكون قوله : «استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام» لِمَا كان غَمْرَهُ من عجائب ما طالعَ مِنْ ملكوتِ السموات والأرض ، وخامرَ باطنَهُ من مُشاهدةِ المَلَأِ الأعلى ، وما رأى من آيات رَبِّهِ الكبرى ، فلم يَسْتَفِقْ ويرجع إلى حالِ البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام .

ووجهُ ثالث : أن يكونَ نومُهُ واستيقاظُهُ حقيقةً علي مقتضى لَفْظِهِ ، ولكنه أُسْرِيَ بجسده وقلبه حاضر ، ورؤيا الأنبياء حقٌ ، تنام أعينُهُم ولا تنام قلوبُهُم . وقد مالَ بعضُ أصحاب الإشارات إلى نَحْوٍ من هذا . قال : تَغْمِضُ عينيه لئلا يَشْغَلَهُ شيءٌ من المحسوسات عن الله تعالى .

ولا يصحُّ هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالاتٌ .

ووجهُ رابع : وهو أن يعبرَ بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع .

٤٦٨ - وَيُقَوِّيه قوله في رواية عَبْدُ بن حُمَيْد ، عن هَمَّام : «بينا أنا نائم» وَرَبَّمَا قال : «مُضْطَجِعٌ»^(٣) .

٤٦٩ - وفي رواية هُذْبَةَ ، عنه : «بينا أنا نائم في الحَطِيم» وربما قال : «في الحِجَرِ مضطجع»^(٤) .

(١) في المطبوع : «القصة» .

(٢) «قوله» ، ليس في المطبوع .

(٣) تقدم برقم (٤٥١) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة .

٤٧٠ - وقوله في الرواية الأخرى: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»^(١)

فيكون سَمَّى هَيْئَتَهُ بالنوم لَمَّا كانت هَيْئَةُ النَّائِمِ غالباً.

وذهب بعضهم إلى (٥١/ب) أَنَّ هذه الزيادات: من النوم ، وذِكْرُ شَقِّ البطن ، ودُنُوُّ الرب [عزَّ وجلَّ] الواقعة في هذا الحديث ، إنما هي من رواية شَرِيكٍ ، عن أنس ، فهي مُتَكَرِّرَةٌ من روايته ؛ إِذْ شَقُّ الْبَطْنِ في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صِغَرِهِ ﷺ وقبل النبوة^(٢) ؛ ولأنه قال في الحديث : «قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ» ، والإسراء بإجماع كان بعد الْمَبْعُثِ ؛ فهذا كُلُّهُ يُؤَهِّنُ ما وقع في رواية أنس ، مع أن أنساً قد بَيَّنَّ من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يَسْمَعْهُ من النبي ﷺ ، فقال مرَّةً : عن مالك بن صَعْصَعَةَ ، وفي كتاب مسلم : لعلَّه عن مالك بن صَعْصَعَةَ ، على الشكِّ . وقال مرَّةً : كان أبو ذرٍّ يحدِّث .

٤٧١ - وأما قولُ عائشةَ : ما فُقِدَ جَسَدُهُ^(٣) ؛ فعائشةُ لم تحدِّثْ به عن مشاهدةٍ ؛ لأنها لم تكن حينئذٍ زَوْجَهُ ، ولا في سِنٍّ من يَضْبِطُ ، ولعلها لم تكن وُلِدَتْ بَعْدُ ، على الخلاف في الإسراء متى كان ؟ فَإِنَّ الإسراءَ كان في أول الإسلام على قول الزُّهْرِيِّ وَمَنْ وافقه بعد المبعث بعام ونصف ، وكانت عائشةُ في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام .

وقد قيل : كان الإسراءُ لَخَمْسٍ قبل الهجرة . وقيل : قبل الهجرة بعام . والأشبهُ إنه لَخَمْسٍ .

والحجَّةُ لذلك تَطَوُّلُ ، [و] ليست مِنْ غَرَضِنَا ، فإذا لم تشاهد ذلك عائشةُ ، دَلَّ على أنها حَدَّثَتْ بذلك عن غيرها ، فلم يُرْجَحْ خَبَرُها على خبر غيرها ؛ وَغَيْرُها يقول خلافة مما وقع نصّاً في حديث أم هانئ وغيره .

وأيضاً فليس حديثُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها بالثابت ، والأحاديثُ الأخر

(١) تقدم برقم (٤٦٦).

(٢) بل قبل النبوة وبعدها . انظر تعليقنا على الحديث المتقدم برقم (٣٣٤).

(٣) تقدم برقم (٤٥٠).

أثبت ، [و] لَسْنَا نَعْنِي حَدِيثَ أُمِّ هَانِيٍّ ، وَمَا ذُكِرَتْ فِيهِ خَدِيجَةٌ .
وأيضاً فقد روي في حديث عائشة : « ما فَعَدْتُ » . ولم يدخل بها النبي ﷺ إلا بالمدينة .

وكلُّ هذا يوهِّنه ؛ بل الذي يدلُّ عليه صحيح قولها . أنه بجسده ، لإنكارها
أن تكون رؤياه لرَبِّه رُؤْيَا عَيْنٍ . ولو كان^(١) عندها مناماً لم تُنكِزه .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١] فقد
جعل (١/٥٢) ما رآه للقلب ، وهنا يدلُّ على أنه رُؤْيَا نَوْمٍ وَوَحْيٍ ، لا مشاهدة
عَيْنٍ وَحِسٍّ .

قلنا : يقابله قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم : ١٧] فقد أضاف
الأمر للبصر .

وقد قال أهل التفسير في قوله [تعالى] : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾
[النجم : ١١] أي لم يُوهِم القلب العينَ غير الحقيقة ، بل صدق رؤيتها .
وقيل : ما أنكر قلبه ما رآته عينه .

فصل

[فِي رُؤْيَيْهِ ﷺ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاخْتِلَافِ السَّلَفِ فِيهَا]^(٢)

وأما رُؤْيَيْهِ ﷺ - لربه جلَّ وعزَّ - فاختلف السلفُ فيها ؛ فأنكرته عائشة .

٤٧٢ - أخبرنا أبو الحسين : سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه ؛
قال : حدثني أبي ، وأبو عبد الله بن عتَّاب الفقيه ؛ قالوا : حدثنا القاضي
يونس بن مغيث ، قال : حدثنا أبو الفضل الصقلِّي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن
ثابت ، عن أبيه وجده ؛ قالوا : حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن علي [قال] : حدثنا محمود بن
آدم ، حدثنا وَكِيع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، أنه قال

(١) في المطبوع : « كانت » .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

لعائشة [رضي الله عنها]: يا أُمَّ المؤمنين! هل رأى محمدٌ ربّه؟ فقالت: لقد قَفَّ شَعْرِي مما قُلْتُ . ثلاث مَنْ حَدَّثَكَ بهنَّ فقد كذب: من حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رأى ربّه فقد كذب ، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وذكر الحديث^(١).

فقال جماعة بقول عائشة [رضي الله عنها].

٤٧٣ ، ٤٧٤ - وهو المشهور عن ابن مسعود ، ومثله عن أبي هريرة ، أنه [قال]: إنما رأى جبريل^(٢) . واختلف عنه . وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين ، والفقهاء والمتكلمين .

٤٧٥ - وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه رآه بعينه^(٣) .

٤٧٦ - وروى عطاء عنه : أنه رآه بقلبه^(٤) .

٤٧٧ - وعن أبي العالية ، عنه : رآه بفؤاده مرتين^(٥) .

٤٧٨ - وذكر ابنُ إسحاق أنَّ ابن عمر أرسل إلى ابن عباس [رضي الله عنهما] يسأله : هل رأى محمدٌ ربّه؟ فقال : نعم^(٦) .

٤٧٩ - والأشهرُ عنه أنه رأى ربّه بعينه ، رُوي ذلك عنه من طُرُقٍ ، وقال : إنَّ الله [تعالى] اختصَّ موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخُلة ، ومحمداً بالرؤية^(٧) .

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٠) ، ومسلم (٢٨٩/١٧٧) . (قَفَّ شعري) معناه : قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال . (كذب) : أخطأ .

(٢) قول ابن مسعود أخرجه البخاري (٤٨٥٧) ، ومسلم (١٧٤) . وقول أبي هريرة أخرجه مسلم (١٧٥) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٠/١) . وإسناده صحيح . وروى البخاري (٤٧١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ إِلَّا رِجَالًا مِّنْ نَّاسٍ﴾ قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به .

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤/١٧٦) .

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٥/١٧٦) . وأبو العالية هو : رفيع بن مهران الريحاني .

(٦) رواه ابن إسحاق والبيهقي في الأسماء والصفات ، وضعفه .

(٧) أخرجه - بروايات - النسائي ، كما في تفسير سورة والنجم لابن كثير - وابن أبي عاصم في =

وَحِجَّتُهُ قَوْلُهُ [تعالى]: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١١ ، ١٣].

قال الماوردي: قيل: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ (٥٢/ب) ورؤيته بين موسى ، ومحمد ﷺ [فَرَاهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ ، وَكَلَّمَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ .

وحكى أبو الفتح الرازي^(١) ، وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب .

٤٨٠ - وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ: اجتمع ابنُ عباس وكعبُ؛ فقال ابنُ عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ؛ فَكَبَّرَ كَعْبُ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَاهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى؛ فَكَلَّمَهُ مُوسَى ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ^(٢) .

٤٨١ - وَرَوَى شَرِيكٌ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ؛ قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ^(٣) .

٤٨٢ - وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ ، وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي ، وَلَمْ أَرَهُ بَعِينِي»^(٤) .

= السنة (٤٣٦ ، ٤٤٢) ، وابن خزيمة في التوحيد رقم (٢٧٦ ، ٢٧٧) ، والطبراني في الأوسط وغيره ، وصححه الحاكم (٦٥/١ ، ٤٦٩/٢) ، ووافقه الذهبي . وذكر رواية الطبراني الحافظ الهيثمي في المجمع رقم (٢٥١) وقال: «فيه حفص بن عمر العدني ، روى ابن أبي حاتم توثيقه ، عن أبي عبد الله الطهراني ، وقد ضعفه النسائي وغيره» .

(١) هو سُليْمُ بْنُ أَيُّوبَ ، إِمَامٌ ، فَقِيهٌ ، ثَقَّةٌ ، مَقْرِيءٌ ، مُحَدِّثٌ . مَاتَ غَرَقًا فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ سَاحِلِ جُدَّةَ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنَ الْحَجِّ سَنَةِ (٤٤٧هـ) . وَكَانَ قَدْ نِيفَ عَلَى الثَّمَانِينَ . انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٦٤٥/١٧ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٧٨) مِنْ طَرِيقِ مَجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «لَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ كَعْبًا . . .» وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ مَجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ - كَمَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ وَالنَّجْمِ لِابْنِ كَثِيرٍ - بِلَفْظٍ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ ، وَلَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مَرْسَلًا ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ =

٤٨٣ - وروى مالك بن يُخَامِر ، عن مُعَاذ ، عن النبي ﷺ ؛ قال : «رَأَيْتُ رَبِّي . . . وذكر كَلِمَةً ، فقال : يا محمد! فيم يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟»^(١) الحديث .

وحكى عبد الرزاق^(٢) أَنَّ الحسن^(٣) كان يحلفُ بالله لقد رأى محمدَ رَبِّه .

وحكاه أبو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ^(٤) عن عِكْرَمَةَ .

وحكى بعضُ المتكلمين هذا المذهبَ عن ابن مسعود .

وحكى ابنُ إسحاق : أَنَّ مروانَ^(٥) سأل أبا هُرَيْرَةَ . هل رأى محمد رَبَّهُ؟ فقال : نعم .

وحكى النقاش ، عن أحمد بن حنبل ، أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس بعينه رآه - حتى انقطع نَفْسُهُ ، يعني : نَفَسَ أحمد .

وقال أبو عُمَرَ : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وَجَبُنْ عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار .

وقال سَعِيد بن جُبَيْر : لا أقول : رآه ، ولا لم يَرَهُ .

= ﷺ قال : قلنا : يا رسول الله . . . ، فذكره موصولاً/ المناهل (٤١٥) .

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣/٥) ، والترمذي (٣٢٣٥) وقال : «هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل - أي البخاري - عن هذا الحديث فقال : حديث حسن صحيح» وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة مطبوعة في شرح هذا الحديث سماها : «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» فلترجع فإنها قيمة .

(٢) هو الإمام الحافظ عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعاني المتوفى سنة (٢١١) هـ . له كتاب «المُصَنَّف» طبع في أحد عشر مجلداً بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله .

(٣) الحسنُ هو البصري سيد التابعين .

(٤) هو الإمام المقرئ المحدث الحافظ ، الأثري أحمد بن محمد الأندلسي الطلمنكي . (وَطَلَمَنْكَةُ) : مدينة بالأندلس المفقود . توفي هذا الإمام سنة (٤٢٩) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٦٦/١٧ .

(٥) هو مروان بن الحكم ، ولي الخلافة في آخر سنة (٦٤) هـ . قال ابن حجر : لا يثبت له صحبة . (التقريب) .

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس ، وعِكرمة ، والحسن ، وابن مسعود ؛ فَحَكِي عن ابن عباس وعِكرمة : رآه بقلبه . وعن الحسن وابن مسعود : رأى جبريل .

وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه .

وعن ابن عطاء في قوله [تعالى] : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الانشرح : ١] قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

وقال أبو الحسن ، علي بن إسماعيل الأشعري ^(١) [رضي الله عنه] وجماعة من أصحابه : إنه رأى الله [تعالى] ببصره وعيني رأسه ^(٢) ، وقال : كل آية أوتيها نبي من الأنبياء (١/٥٣) عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

ووقف بعض مشايخنا في هذا ، وقال : ليس عليه دليل واضح ؛ ولكنه جائز أن يكون .

قال المؤلف : والحق الذي لا امتراء فيه ، أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً ، وليس في العقل ما يحيلها .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى - عليه السلام - لها . ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ؛ بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله [تعالى] : ﴿ لَنْ تَرِنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ؛ أي : لن تطيق ، ولا تحتمل رؤيتي ؛ ثم ضرب له مثلاً ^(٣) مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت ، وهو الجبل .

(١) نسبة إلى أبي موسى الأشعري . وكان أبو الحسن عجباً في الذكاء وقوة الفهم ، وهو إمام المتكلمين . كان معتزلياً ، ثم كرهه ، وتبرأ منه ، وأخذ يرد على أهله . مات ببغداد سنة (٣٢٤) . انظر سير أعلام النبلاء ٨٥ / ١٥ .

(٢) واختاره الشيخ النووي في فتاويه / حكاه ابن كثير في السيرة ١٠١ / ٢ .

(٣) في المطبوع : « مثلاً » .

وكلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيل رُؤْيَتَهُ في الدنيا؛ بل فيه جَوَازُهَا على الجملة؛ وليس في الشرع دليلٌ قاطع على استحالتها ولا امتناعها؛ إذ كل موجود فروئته جائزةٌ غيرٌ مستحيلة.

ولا حجة لمن استدَلَّ على مَنَعِهَا بقوله [تعالى]: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لاختلاف التأويلات في الآية، وإذ ليس يقتضي قول مَنْ قال في الدنيا الاستحالة.

وقد استدَلَّ بعضهم بهذه الآية نَفْسِهَا على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة.

وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار. وقيل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ لا تُحِيط به، وهو قول ابن عباس. وقد قيل: لا تدركه الأبصار، وإنما يدركه المُبْصِرُونَ.

وكلُّ هذه التأويلات لا تقتضي مَنَعَ الرؤية ولا استحالتها.

وكذلك لا حجة لهم بقوله [تعالى]: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقوله: ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. لِمَا قَدَمْنَاهُ؛ ولأنَّها ليست على العموم؛ [و] لأنَّ مَنْ قال: معناها: لن تَرَانِي في الدنيا، إنما هو تأويل.

وأيضاً ليس^(١) فيه نصُّ الامتناع، وإنما جاءت في حق موسى؛ وحيث تتطَرَّقُ التأويلات وتتسلَّطُ الاحتمالات، فليس للقطْع إليه سبيل.

وقوله: ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾. أي: مِنْ سُؤَالِي مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي.

وقد قال أبو بكر الهذلي^(٢) في قوله: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾: أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليَّ في الدنيا، وإنَّه (٥٣/ب) مَنْ نظر إليَّ مات.

وقد رأيتُ لبعض السلف والمتأخرين ما معناه: إن رؤيته تعالى في الدنيا

(١) في المطبوع: «فليس».

(٢) اسمه سُلمَى بن عبد الله، وقيل: رَوْح. قال الحافظ في التقریب: أخباري، متروك الحديث. مات سنة (١٦٧) هـ. انظر تهذيب الكمال وفروعه.

مُتَمَتِّعَةً ، لَضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقُوَاهُمْ ، وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةٌ غَرَضًا لِلآفَاتِ
وَالْفَنَاءِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرَّؤْيَةِ ؛ فَإِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ وَرُكِّبُوا تَرْكِيبًا
آخَرَ ، وَرُزِقُوا قُوَّةً ثَابِتَةً بَاقِيَةً ، وَأَتَمَّ أَنْوَارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبَهُمْ قُوَّةً بِهَا عَلَى
الرَّؤْيَةِ .

وقد رأيتُ نحوَ هذا لمالك بن أنس رحمه الله ؛ قال : لم يُرَ في الدنيا ؛ لأنه
باقٍ ، ولا يُرَى الباقي بالفاني ؛ فإذا كان في الآخرة وَرُزِقُوا أَبْصَارًا بَاقِيَةً رُئِيَ
الباقي بالباقي .

وهذا كلامٌ حسنٌ مَلِيحٌ ، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيثُ ضَعْفُ
القدرة ؛ فإذا قُوَّى اللهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الرَّؤْيَةِ
لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ .

وقد تقدّم ما ذكر في قوة بَصَرِ مُوسَى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ،
ونفوذ إدراكهما بقوةِ إلهيته مُنْحَاها لإدراك ما أدركاه ، ورؤيته ما رآياه^(١) . والله
أعلم .

وقد ذكر القاضي أبو بكر^(٢) - في أثناء أجوبته عن الآيتين - ما معناه : إن
موسى - عليه السلام - رأى الله ؛ فَلِذَلِكَ خَرَّ صَبَقًا ، وإن الجبل رأى ربّه فصار
دَكًّا بِإِدْرَاكِ خَلْقِهِ اللهُ لَهُ . واستنبط ذلك - والله أعلم - . من قوله : ﴿ وَلَكِنْ أَنْظَرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

ثم قال : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا ﴾
[الأعراف : ١٤٣] .

وتَجَلَّى للجبل هو ظهوره له حتى رآه ، على هذا القول .

(١) تقدم ذلك بالحديث رقم (٧٩) وما بعده .

(٢) هو محمد بن الطيب بن الباقلاني . قال عنه المصنف في طبقات المالكية : هو الملقب بسيف
السنة ، ولسان الأمة ، المتكلم على لسان أهل الحديث ، وطريق أبي الحسن ، وإليه انتهت
رئاسة المالكية في وقته . . . توفي سنة (٤٠٣) هـ . من آثاره : الإنصاف فيما يجب اعتقاده
ولا يجوز الجهل به . مطبوع بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله .

وقال جعفر بن محمد: شَغَلَهُ بِالْجَبَلِ حَتَّى تَجَلَّى ، ولولا ذلك لمات صَعِقاً بلا إفاقة .

وقوله هذا يدلُّ على أَنَّ موسى رآه .

وقد وقع لبعض المفسِّرين في «الجبل» أنه رآه ، وبرؤية الجبل له استدلال مَنْ قال برؤية محمدٍ نبينا له ؛ إذ جعله دليلاً على الجَّواز .

ولا مِرْية في الجَّواز ؛ إذ ليس في الآيات نصٌّ بالمنع .

وأما وجوبه لنبينا [ﷺ] ، والقول بأنه رآه بعينه ، فليس فيه قاطع أيضاً ولا نصٌّ ؛ إذ الْمُعَوَّلُ فيه على آتي «النجم» والتنازعُ فيهما مآثور ، والاحتمالُ لهما مُمكن ، ولا أثر قاطع (١/٥٤) مُتَوَاتِر عن النبي ﷺ بذلك .

٤٨٤ - وحديث ابن عباس (١) خَبَّرَ عن اعتقاده لم يُسْنِدْهُ إلى النبي ﷺ ؛ فيجِبُ العملُ باعتقادِ مُضَمِّنِهِ .

٤٨٥ - ومثله حديثُ أبي ذرٍّ في تفسير الآية (٢) .

٤٨٦ - وحديثُ معاذٍ مُحْتَمِلٌ للتأويل ، وهو مضطرب الإسناد والمَثْنُ (٣) .

٤٨٧ - وحديثُ أبي ذرٍّ الآخر مختلف مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ . فُرُوِي : «نورٌ أَنِّي أَرَاهُ؟» (٤) .

وحكى بعضُ شيوخنا أنه رُوِي : «نُورَانِيَّ أَرَاهُ» (٥) .

٤٨٨ - وفي حديثه الآخر : سألته ، فقال : «رَأَيْتُ نُوراً» (٦) ، وليس يمكن

(١) حديث ابن عباس تقدم برقم (٤٧٥) .

(٢) تقدم برقم (٤٨١) .

(٣) تقدم برقم (٤٨٣) وهو حديث صحيح .

(٤) أخرجه مسلم (٢٩١ / ١٧٨) . ومعناه : حجابُه النور ، فكيف أراه؟

(٥) على هامش الأصل : «... هذا تصحيف ، والصحيح الأول يدل عليه قوله : رأيت نوراً ،

وقوله : حجابُه النور» . وقال المصنف في «إكمال المعلم» ؛ «هذه الرواية لم تثبت» .

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٢ / ١٧٨) من حديث أبي ذر .

الاحتجاجُ بواحدٍ منها على صحة الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ : «رأيتُ نوراً» فهو قد أخبر أنه لم يرَ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله .
وإلى هذا يرجعُ قوله : «نورٌ أنَّى أراه؟» أي : كيف أراه مع حجابِ الثور المُغشي للبصر؟

٤٨٩ - وهذا مثْلُ ما في الحديث الآخر : «حجابه الثور»^(١) .

٤٩٠ - وفي الحديث [الآخر] : «لم أَره بعيني ، وإنما^(٢) رأيته بقلبي مرتين» وتلا : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٣) [النجم : ٨] ، واللهُ قادِرٌ على خَلْقِ الإدراك الذي في البَصَرِ في القلب ، أو^(٤) كيف شاء ، لا إلهَ غيره .
فإن وردَ حديثٌ نصٌّ بيِّنٌ في الباب اعتُقِدَ ووجب المَصِيرُ إليه ؛ إذ لا استِحَالَةَ فيه ، ولا مانعَ قطعيٍّ يردُّه ، واللهُ الموفقُ تعالى .

فصل

[فِي مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ ﷺ
لِلَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ]^(٥)

وأما ما وردَ في هذه القصة مِنْ مُنَاجَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ بقوله : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم : ١٠] إلى ما تَضَمَّنَتْهُ الأحاديثُ ، فأكثرُ المفسرين على أَنَّ المَوْحِيَ اللَّهَ [عز وجل] إلى جبريل ، وجبريلُ إلى محمد ﷺ ، إلا شذوذاً منهم ؛ فذكرَ عن جعفر بن محمد الصادق ، قال : أَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِلَا واسطة ، ونحوه عن الواسطي ؛ وإلى هذا ذهب بعضُ المتكلمين ، أَنَّ محمداً ﷺ كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ .

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري .

(٢) في المطبوع : «ولكن» .

(٣) رواه ابن جرير من حديث محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ . وإسناده ضعيف .

(٤) في الأصل : «أي» ، والمثبت من المطبوع .

(٥) ما بين حاصرتين من عندي .

وَحُكِي عَنْ الْأَشْعَرِيِّ ، وَحُكُوهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ .

٤٩١ - وذكر النقَّاش ، عن ابن عباس ، في قصة الإسراء ، عنه ﷺ في قوله : ﴿ دَنَا فَنَدَّى ﴾ [النجم : ٨] . قال : «فَارْقَنِي جِبْرِيلُ ، وانقطعت الأصوات عني ، فسمعتُ كلامَ ربي وهو يقولُ : لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ يَا مُحَمَّدُ ! اذْنُ ، اذْنُ»^(١) .

٤٩٢ - وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه^(٢) .

وقد احتجُّوا في هذا (٥٤/ب) بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] ؛ فقالوا : هي ثلاثة أقسام : من وراء حجابٍ كتكليم موسى ؛ وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا ﷺ . الثالث : قوله : «وَحْيًا» ولم يبقَ من تقسيم صور^(٣) الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة .

وقد قيل : الوَحْيُ - هنا - هو ما يُلقِيهِ في قَلْبِ النبي دون واسطة .

٤٩٣ - وقد ذكر أبو بكر البرزاري ، عن عليّ في حديث الإسراء ، ما هو أوضح في سَمَاعِ النبي ﷺ لكلام الله من الآية : فذكر فيه : «فَقَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ . فَقِيلَ لِي مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي ، أَنَا أَكْبَرُ ، أَنَا أَكْبَرُ» . وقال في سائر كلمات الأذان مثلاً ذلك^(٤) .

(١) قال السيوطي في المناهل (٤٢٣) : «ابن أبي حاتم ، وفي رواية عنه : هو الربُّ ، دنا من محمد . ابن جرير» . وانظر الفتح (٤٨٤/١٣) . وسيعيده المصنف برقم (٤٩٥) .

(٢) تقدم حديث شريك بن أبي نمر عن أنس برقم (٤٣٣) وفيه : «ودنا الجبار ، ربُّ العزة ، فتدلَّى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . . .» وسيأتي هذا اللفظ برقم (٤٩٦) . قال الخطابي - كما في الفتح - ٤٨٤/١٣ - : إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عز وجل ، مخالف لعامة السلف ، والعلماء ، وأهل التفسير ، من تقدم منهم ومن تأخر . . . قال : وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك ، فلم يذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة ، وذلك مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك» .

(٣) كلمة «صور» ، لم ترد في المطبوع .

(٤) تقدم برقم (٤٤٩) .

ويجيء الكلام في مُشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يُشبهه ،
وفي أوّل فصلٍ من الباب منه .

وكلامُ الله [تعالى] لمحمد ﷺ ، وَمَنْ اخْتَصَّه مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، جَائِزٌ غَيْرُ مَمْتَنَعٍ
عَقْلًا ، ولا ورد في الشَّرْع قاطعٌ يمنعه ، فَإِنْ صَحَّ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ احْتِمِلَ عَلَيْهِ ،
وكلامُهُ تعالى لموسى كائنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ ، نَصٌّ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ، وَأَكَّدَهُ
بِالْمَصْدَرِ دَلَالَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٤٩٤ - وَرَفَعَ مَكَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِسَبَبِ
كَلَامِهِ ^(١) . وَرَفَعَ مُحَمَّدًا فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ حَتَّى بَلَغَ مُسْتَوًى ، وَسَمِعَ صَرِيفَ
الْأَقْلَامِ ^(٢) ؛ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ هَذَا أَوْ يَبْعُدُ سَمَاعُ الْكَلَامِ ؟ فَسُبْحَانَ مَنْ
خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ ، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ! .

فصل

[فِي مَا وَرَدَ مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ] ^(٣)

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ مِنْ قَوْلِهِ
تعالى : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم : ٨ ، ٩] . فَأَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ
أَنَّ الدُّنُوَّ وَالتَّدَلَّى مُنْقَسِمٌ مَا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَجَبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَوْ مُخْتَصٌّ
بِأَحَدِهِمَا مِنَ الْآخِرِ ، أَوْ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى .

قال الرازي : وقال ابن عباس : هو محمدٌ ، دَنَا فَتَدَلَّى مِنْ رَبِّهِ .

وقيل : معنى دَنَا : قَرَّبَ . وَتَدَلَّى : زَادَ فِي الْقُرْبِ . وَقِيلَ : هُمَا بِمَعْنَى
وَاحِدٍ . أَيِ : قَرَبَ (١/٥٥) وَحَكَى مَكِّيٍّ وَالْمَاوَرَدِيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هُوَ الرَّبُّ
دَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَتَدَلَّى إِلَيْهِ ؛ أَيِ : أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ .

(١) تقدم برقم (٤٤٦) من حديث شريك عن أنس .

(٢) تقدم ذلك برقم (٤٣٨) .

(٣) ما بين حاصرتين من عندي .

وحكى النقّاش عن الحسن ، قال : ﴿ دَنَا ﴾ من عبده محمد ﷺ ، ﴿ فَتَدَلَّى ﴾ فَقُرَّبَ منه ، فأراه ما شاء أن يُريه من قُدْرته وعظّمته .

٤٩٥ - قال : وقال ابن عباس : هو مقدّم ومؤخّر : تدلّى الرّفرف^(١) لمحمد ﷺ ليلة المِعْرَاج ، فجلس عليه ، ثم رُفِعَ فدنا من ربّه . قال : «فَارَقَنِي جبريلُ ، وانقطعت عني الأصواتُ ، وسمعتُ كلامَ ربي [عزّ وجل]^(٢)» .

٤٩٦ - وعن أنس في الصحيح : «عَرَجَ بي جبريلُ إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ودَنَا الجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ ، فتدلّى حتى كان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسين صلاة . . . » وذكر حديث الإسراء^(٣) .

وعن محمد بن كَعْب^(٤) : هو محمدٌ ، دَنَا من ربّه ، فكان قَابَ قَوْسَيْنِ .

قال : وقال جعفر بن محمد : أدناه ربّه منه حتى كان منه كَقَابِ قَوْسَيْنِ .

وقال جعفر بن محمد : والدنو من الله لا حدّ له ، ومن العباد بالحدود .

وقال أيضاً : انقطعت الكَيْفِيَّةُ عن الدنو ، ألا ترى كيف حَجَبَ جبريل عن دنوّه ، ودَنَا محمد ﷺ إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان ، فتدلّى بسكون قلبه إلى ما أدناه ، وزال عن قلبه الشكُّ والارتياب .

قال المؤلف رحمه الله : اعلم أنّ ما وقع من إضافة الدنو والقُرْب - هنا - من الله ، أو إلى الله ، فليس بدنوّ مكان ، ولا قُرْب مدّى ؛ بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق : ليس بدنوّ حدّ ، وإنما دنوّ النبي ﷺ من ربه وقُرْبُه منه إِبَانَةٌ

(١) الرّفرفُ : البساط . انظر النهاية .

(٢) تقدم برقم (٤٩١) .

(٣) تقدم برقم (٤٣٣) من حديث شريك عن أنس . وانظر ما نقلناه عن الخطابي عند الحديث المتقدم برقم (٤٩٢) . (قاب قوسين) : قدر قوسين .

(٤) هو محمد بن كعب القرظي ، تابعي ، ثقة ، عالم . مات سنة (١٢٠) هـ وقيل قبل ذلك / (التقريب) .

(٥) في المطبوع : «كقاب» .

عظيم منزلته ، وتشريف رُتبته ، وإشراق أنوار معرفته ، ومشاهدة أسرار غيِّبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مَبَرَّةٌ وتَأْنِيسٌ ، وبَسْطٌ ، وإِكْرَامٌ .

٤٩٧ - وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ : «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»^(١) عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ : نَزُولُ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ ، وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ .

قال الواسطي : مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ دُنَا ، جَعَلَ ثَمَّ مَسَافَةً ، بَلْ كَلِمَا دُنَا (٥٥/ب) بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بُعْدًا ، يَعْنِي : عَنْ دَرَكِ حَقِيقَتِهِ ؛ إِذْ لَا دُنُوَّ لِلْحَقِّ وَلَا بُعْدَ .

وقوله : ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لَا إِلَى جَبْرِيلَ عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نَهَايَةِ الْقُرْبِ ، وَلُطْفِ الْمَحَلِّ ، وَاتِّضَاحٍ^(٢) الْمَعْرِفَةِ ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَعِبَارَةً عَنْ إِجَابَةِ الرِّغْبَةِ ، وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ ، وَإِظْهَارِ التَّحَفِّيِّ ، وَإِنَافَةِ الْمَنْزَلِ^(٣) وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ اللَّهِ لَهُ .

٤٩٨ - وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ : «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(٤) قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ وَتَعْجِيلُ الْمَأْمُولِ .

فصل

فِي ذِكْرِ تَفْضِيلِهِ يَوْمَ^(٥) الْقِيَامَةِ بِخُصُوصِ الْكَرَامَةِ

٤٩٩ - قَالَ^(٦) الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ : حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ^(٧) ؛

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٤٥) ، وَمُسْلِمٌ (٧٥٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : «وِإِضْاحٌ» .

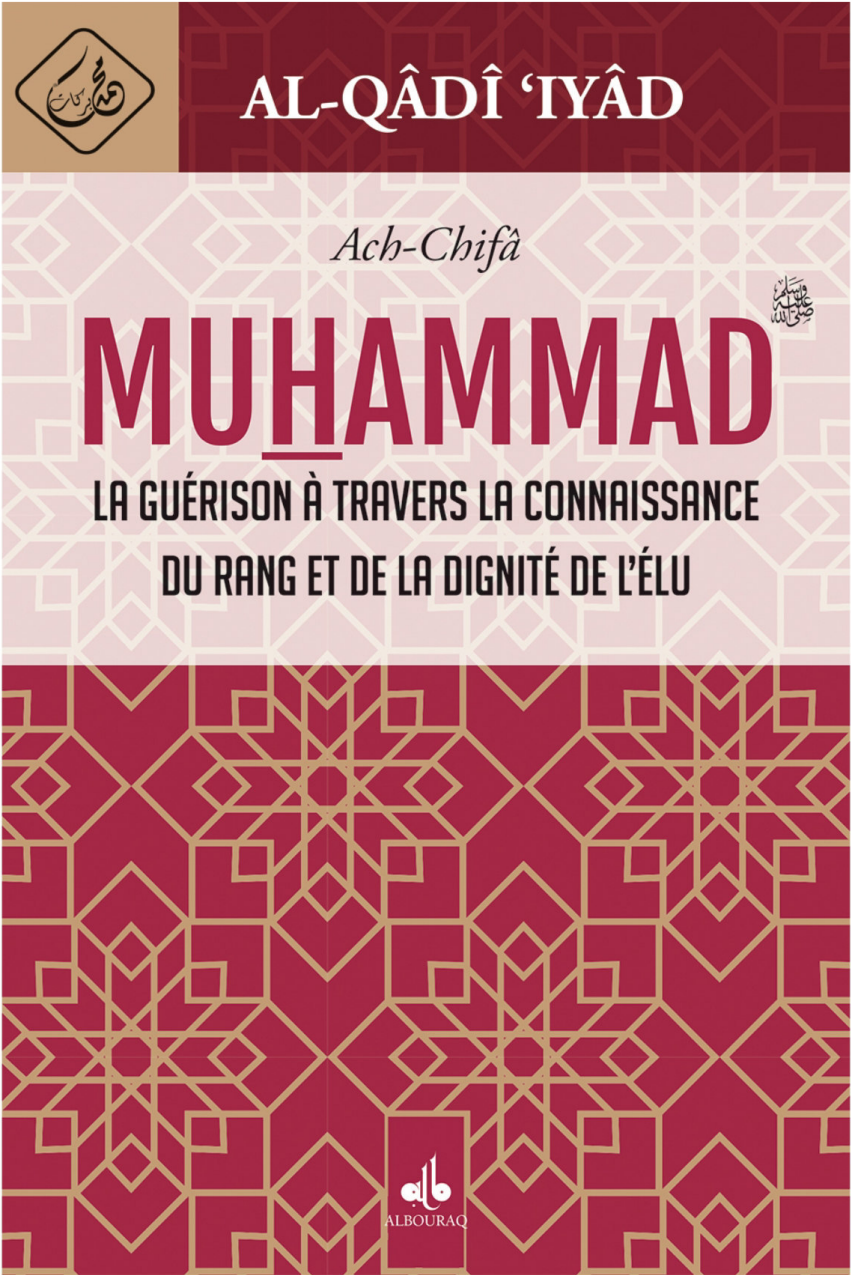
(٣) إِنَافَةٌ : إِعْلَاءُ وَرَفْعٌ .

(٤) حَدِيثٌ قَدْسِي . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٥٣٦) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ؛ وَمُسْلِمٌ (٢٦٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ .

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ : «فِي» .

(٦) فِي الْمَطْبُوعِ : «حَدَّثَنَا» .

(٧) فِي الْأَصْلِ : «أَبُو الْحَسَنِ» ؛ وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْمَطْبُوعِ .



« On m’amena al-Burâq, une bête blanche et longue, plus grande que l’âne et moins grande que le mulet. Il pose son sabot au bout de la portée de sa vue.

Je suis monté sur son dos jusqu’à Jérusalem. Je l’ai alors attachée à l’anneau où les Prophètes attachent leurs montures. Puis, je suis entré dans la Mosquée et y ai accompli deux unités de prière. Ensuite, je suis sorti, et l’Ange Gabriel m’apporta deux coupes : une remplie de vin et l’autre de lait. J’ai choisi le lait et Gabriel m’a dit : “Tu as choisi la fitra”.

Puis, nous fûmes élevés au ciel. Gabriel frappa à la porte du premier ciel, et on lui demanda : “Qui es-tu ?” Il dit être Gabriel, et on demanda : “Qui est avec toi ?” Il répondit : “Muhammad !” et on lui demanda : “A-t-il été invité ?” Il répondit : “Oui, on l’a invité !” La porte fut ouverte et je me suis retrouvé devant Adam qui m’accueillit chaleureusement et invoqua le bien en ma faveur.

Puis, nous fûmes élevés au deuxième ciel. Gabriel frappa à la porte, et on lui demanda : “Qui es-tu ?” Il dit être Gabriel, et on demanda : “Qui est avec toi ?” Il répondit : “Muhammad !” et on lui demanda : “A-t-il été invité ?” Il répondit : “Oui, on l’a invité !” La porte fut ouverte et je me suis retrouvé devant les deux cousins : Jésus, fils de Marie, et Jean, fils de Zacharie, que la Paix soit sur eux ! Ils m’accueillirent chaleureusement et invoquèrent le bien en ma faveur.

Puis, nous fûmes élevés au troisième ciel... et il rapporta la même chose, avant d’ajouter : “On nous ouvrit et je me suis retrouvé devant Joseph , qui a reçu la moitié de la beauté de tous les hommes. Il me fit le même accueil et invoqua le bien en ma faveur”.

Puis, il rapporta les mêmes paroles pour le quatrième ciel et dit : “Je me suis retrouvé devant Idrîs (Énoch) qui m’accueillit chaleureusement et invoqua le bien en ma faveur”.

Dieu – Exalté soit-Il ! – a dit à son sujet : **“Nous l’avons élevé jusqu’à un haut lieu”¹.**

Puis, nous fûmes élevés au cinquième ciel... et il rapporta la même chose et ajouta : “Je me suis retrouvé devant Aaron. Il m’accueillit chaleureusement et invoqua le bien en ma faveur”.

Puis, nous fûmes élevés au sixième ciel... et il rapporta la même chose et ajouta : “Je me suis retrouvé devant Moïse. Il m’accueillit chaleureusement et invoqua le bien en ma faveur”.

Puis, nous fûmes élevés au septième ciel... et il rapporta la même chose et ajouta : “Je me suis retrouvé devant Abraham. Il était accoudé [au mur] de la ‘Maison peuplée’ (al-bayt al-ma’mûr) où pénétrèrent chaque jour soixante-dix mille Anges qui n’en ressortent jamais.

Puis on m’emmena jusqu’au ‘Lotus de la Limite’ (sidrat al-muntahâ) dont les feuilles étaient semblables aux oreilles des éléphants, et les fruits comme des jarres.

Lorsque cet Arbre fut enveloppé par l’Ordre de Dieu, il changea d’aspect, et aucune créature de Dieu ne peut en décrire la beauté.

Dieu me révéla alors ce qu’Il me révéla, et m’imposa cinquante prières chaque jour et chaque nuit. Je suis redescendu vers Moïse qui me demanda : ‘Qu’est-ce que ton Seigneur a imposé à ta Communauté ?’ Je lui répondis : ‘Cinquante prières’. Il me dit : ‘Les membres de ta Communauté ne pourront pas le supporter ! Retourne auprès de ton Seigneur et demande-Lui un allègement, car j’ai mis à l’épreuve les fils d’Israël et j’ai mesuré leur disposition’.

Je revins alors auprès de mon Seigneur et Lui ai dit : ‘Ô mon Seigneur ! Accorde un allègement à ma Communauté’. Il accorda un allègement de cinq prières. Je retournai vers Moïse, l’en informai, et il me dit : ‘Les membres de ta Communauté ne pourront pas le supporter ! Retourne auprès de ton Seigneur et demande-Lui un allègement’.

Je ne cessai d’aller et venir de mon Seigneur – Exalté soit-Il ! – à Moïse, jusqu’à ce qu’Il m’ait dit : ‘Ô Muhammad ! Ce sont cinq prières chaque jour et nuit : chaque prière comptant pour dix. Elles sont donc cinquante prières. Celui qui souhaite accomplir une bonne action et ne la fait pas, elle sera inscrite en sa faveur en tant que bonne action, et s’il l’accomplit, elle sera inscrite en sa faveur comme dix bonnes actions.

Section 2

De son élection en raison de la dignité de l'Ascension
et de ce qu'elle comporte comme confiance,
vision et prédominance sur les Prophètes.

Et de son arrivée jusqu'au Lotus de la limite,
et de ce qu'il a vu comme signes grandioses de son Seigneur.

Parmi les privilèges du Prophète , il y a le récit de l'Ascension et ce qu'il renferme comme degrés d'élévation indiqués dans Le Livre glorieux, et qu'expliquent les traditions authentiques.

En effet Dieu – Exalté soit-Il ! – a dit : « **Gloire à Celui qui a fait voyager de nuit Son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée lointaine, dont Nous avons béni l'enceinte, afin de lui montrer certains de Nos signes. Certes, Dieu est Celui qui entend tout, Celui qui voit tout** »².

Et : « **Par l'étoile lorsqu'elle disparaît ! Votre compagnon n'est pas égaré et il n'est pas dans l'erreur ; il ne parle pas par caprice. Il s'agit uniquement d'une révélation reçue que lui a fait connaître Celui dont la force est puissante, qui possède la clairvoyance. Il était assis en majesté, se tenant à l'horizon suprême. Puis Il s'approcha et demeura suspendu. Il se trouvait alors à la distance de deux arcs, ou plus près encore, et Il révéla alors à Son serviteur ce qu'Il lui révéla. Le cœur n'a pas menti sur ce qu'il a vu. Mettrez-vous donc en doute ce qu'il voit ? Il l'a vu, en vérité, lors d'une autre révélation, près du lotus de la limite, là où se trouve le Jardin de la Demeure, au moment où le lotus est enveloppé par ce qui le couvre. Son regard ne s'est pas détourné et n'a pas été abusé. Il a vu, en vérité, le plus grand des signes de son Seigneur** »¹.

Il n'y a aucun désaccord entre les musulmans sur l'authenticité de l'Ascension (mi'râġ) du Prophète , car il s'agit d'un texte coranique repris et expliqué dans le détail dans de nombreuses Traditions connues. Celles-ci expliquent ses merveilles, et indiquent les particularités de notre Prophète Muhammad .

Aussi, avons-nous jugé utile de mentionner la tradition la plus complète à ce sujet en y ajoutant d'autres variantes.

Al-Qâġġ al-Shahġd Abû 'Alġ, le faġġġh Abû Baġr, al-Qâġġ Abû 'Abd Allâġ al-Tamġmġ, et bien d'autres parmi nos maġġres ont rapporté, d'après Abû al-'Abbâs al-'Udhri, Abû al-'Abbâs al-Râzġ, Abû Aġġmad al-Julûġġ, Ibn Sufyân, Muslim b. al-Ĥajġġ, Shaybân b. Farrûġġ, Ĥammâġ b. Salama, Thâġbit al-Bunânġ² et Anas b. Mâġlik ؓ : l'Envoyé de Dieu a dit :

AL-CHIFÂ - LA GUÉRISON À TRAVERS LA CONNAISSANCE DU RANG ET DE LA DIGNITÉ DE LÉLU MUHAMMAD (BSL) (BARAKAT MUHAMMA) (FRENCH ...

Quant à celui qui envisage de commettre une mauvaise action, mais ne la fait pas, elle ne sera pas inscrite à ses dépens, et s'il la commet, elle sera inscrite à ses dépens en tant qu'une seule mauvaise action'.

Je redescendis et informai Moïse de ce que j'avais obtenu. Il me dit : 'Retourne auprès de ton Seigneur et demande-Lui un allègement' ''.

L'Envoyé de Dieu lui répondit : *"Je suis retourné tellement de fois auprès de mon Seigneur que j'en ai honte"* ^{»1.}

Thâbit ﷺ a soigneusement rapporté cette tradition d'Anas, et personne n'en a transmis une aussi sûre que celle-ci.

En effet, d'autres narrateurs ont mélangé leur version à celle-ci. C'est le cas notamment de Sharîk b. Abû Namr qui a commencé sa version en mentionnant la venue de l'Ange auprès du Prophète , et en décrivant comment il lui avait ouvert la poitrine et l'avait lavée avec de l'eau de Zamzam.

Or, cet épisode est survenu durant l'enfance du Prophète et avant la Révélation [du Coran]. Après quoi, il a rapporté le récit de l'Ascension. Or, il ne fait aucun doute que l'Ascension eut lieu après la Révélation.

En outre, plus d'un narrateur a précisé que l'Ascension a eu lieu une année avant l'Hégire, même si d'autres ont dit qu'elle avait eu lieu avant.

Par ailleurs, Thâbit a aussi rapporté d'Anas, d'après Hammâd b. Salama, une tradition dans laquelle il est fait mention de la venue de Gabriel auprès du Prophète , encore enfant, alors que ce dernier jouait avec des garçons de son âge chez sa nourrice.

De même qu'il a rapporté l'épisode de l'ouverture de sa poitrine mentionné par la plupart des narrateurs. Thâbit a harmonieusement joint les deux récits, celui du Voyage Nocturne jusqu'à Jérusalem et celui de l'Ascension jusqu'au « Lotus de la Limite », de sorte à en faire un récit unique. En montrant clairement que le Prophète est d'abord arrivé à Jérusalem, puis, de là, a été élevé au ciel, il a supprimé toutes les confusions faites à ce sujet.

Yûnus a rapporté d'Ibn Shihâb, d'après Anas, la tradition suivante : Abû Dharr rapportait les propos suivants de l'Envoyé de Dieu : *« Alors que je me trouvais à La Mecque, le plafond de ma maison fut fendu. Gabriel descendit et m'ouvrit la poitrine. Il la lava avec de l'eau de Zamzam ; puis apporta une coupe en or remplie de sagesse et de foi, et la vida dans ma poitrine. Ensuite, il referma ma poitrine et me prit par la main pour monter au ciel... »* Puis il continua le récit du Voyage nocturne et de l'Ascension².

Qatâda rapporte également cette tradition d'Anas, cette fois d'après Mâlik b. Ṣa'sa'a, mais en inversant l'ordre, notamment lors de la visite des Prophètes dans le ciel.

La tradition rapportée par Thâbit, d'après Anas, est la plus précise et la plus soignée.

Certains ajouts ont été apportés au Voyage nocturne. J'en mentionnerai donc quelques-uns que je juge utiles à notre but, comme celui-ci, contenu dans la tradition rapportée par Ibn Shihâb où les Prophètes ont dit à l'Envoyé de Dieu – que la Prière et la Paix soient sur eux tous ! – : « Bienvenue au Prophète et au frère vertueux ! », sauf Adam et Abraham qui lui ont dit : « Bienvenue au fils vertueux ! »

Dans cette même tradition, et d'après Ibn 'Abbâs, il est rapporté : *« Puis on m'a fait monter au ciel jusqu'à atteindre un degré où j'ai entendu le crissement des plumes »*¹.

Anas rapporte aussi : *« On m'a conduit ensuite jusqu'au "Lotus de la Limite" qui était enveloppé de couleurs dont je ne connais pas la nature. Puis on m'a fait entrer au Paradis »*.

Dans la tradition transmise par Mâlik b. Sa'sa'a, il est dit : *« Lorsque j'ai dépassé Moïse, il se mit à pleurer. On lui dit : "Qu'est-ce qui te fait pleurer ?" Il répondit : "Ô mon Seigneur ! Voilà un jeune homme que tu as envoyé après moi, et ceux qui entrèrent au Paradis parmi les membres de sa Communauté seront plus nombreux que ceux de la mienne".*

Dans la tradition transmise par Abû Hurayra, l'Envoyé de Dieu a dit : *« J'étais au milieu d'un groupe de*

Prophètes lorsque le temps de la prière arriva. J'ai alors dirigé la prière. Puis, quelqu'un a dit : "Ô Muhammad ! Voici Mâlik, le Gardien de l'Enfer ; salue-le !" Je me retournai, et il salua en premier ».

Abû Hurayra ajouta : « Puis il partit et arriva à Jérusalem où il descendit et attacha sa monture à une grosse pierre. Il pria avec les Anges et, une fois la prière terminée, ils demandèrent : "Ô Gabriel ! Qui est avec toi ?" Il répondit : "C'est Muhammad, l'Envoyé de Dieu et le Sceau des Prophètes !" Ils demandèrent : "A-t-il déjà été mandaté ?" Il dit : "Oui !" Ils dirent alors : "Que Dieu le vivifie en tant que frère et en tant que calife ! Quel merveilleux frère et quel merveilleux calife !" »

Puis, ils [Gabriel et Muhammad] rencontrèrent les esprits des Prophètes qui ont alors loué leur Seigneur.

Il a rapporté les paroles de chacun d'eux, à savoir Abraham, Moïse, Jésus, David et Salomon. Puis Muhammad a loué son Seigneur – Exalté et Magnifié soit-Il ! – en disant : *« Chacun de vous a loué son Seigneur. À mon tour de louer mon Seigneur : "Louange à Dieu qui m'a envoyé en tant que miséricorde pour les mondes, à tous les hommes, en tant qu'annonceur de bonne nouvelle et avertisseur. Il a fait descendre sur moi le Livre de la Discrimination (al-furqân) où se trouve la preuve de toute chose ; Il a fait de ma Communauté, la Communauté du juste milieu et la meilleure de toutes ; Il a fait des gens de ma Communauté les premiers et les derniers ; Il a dilaté mon cœur, m'a débarrassé de mon fardeau, a exalté ma mention, et a fait de moi un conquérant et un Sceau" »*.

Abraham dit alors [aux autres Prophètes] : « C'est en cela que Muhammad vous est supérieur ».

Ensuite, il a indiqué qu'il était monté au ciel de ce monde, puis aux autres cieux, comme mentionné plus haut.

Dans la tradition transmise par Ibn Mas'ûd, il est rapporté que le Prophète a dit : *« On m'a conduit jusqu'au "Lotus de la Limite" qui se trouve au sixième ciel. C'est à lui que parvient tout ce qui monte de la terre pour y être saisi ; et c'est à lui que parvient tout ce qui descend au-dessus de lui pour y être saisi. Dieu – Exalté soit-Il ! – a dit : "Au moment où le lotus est enveloppé par ce qui le couvre"* ¹. Il a dit ensuite qu'il s'agissait d'une couverture en or.

Et dans la variante transmise par al-Rabî' b. Anas, d'après Abû Hurayra :

« On m'a dit : "Voici le 'Lotus de la Limite' où aboutit tout membre de ta Communauté qui a suivi ta voie. C'est le 'Lotus de la Limite' d'où sortent des fleuves d'eau pure, des fleuves de lait au goût inaltérable, des fleuves de vin agréable aux buveurs, et des fleuves de miel de grande pureté. C'est un Arbre à l'ombre duquel le cavalier peut marcher pendant soixante-dix ans. Une seule feuille de cet arbre ombragerait toutes les créatures. Cet arbre est enveloppé de lumière et couvert d'Anges, conformément à Sa Parole : 'Au moment où le lotus est enveloppé par ce qui le couvre' ² ».

Dieu – Béni et Exalté soit-Il ! – lui a alors dit : « Demande ! » Et le Prophète a dit : *« Tu as pris Abraham comme ami, et Tu lui as accordé un immense royaume ; Tu as parlé à Moïse ; Tu as accordé un immense royaume à David, Tu as poli pour lui le fer et Tu lui as soumis les montagnes ; Tu as accordé un immense royaume à Salomon, et Tu lui as soumis les Djinns, les hommes, les démons et le vent, et Tu lui as donné un royaume que nul autre après lui n'aura ; Tu as enseigné la Torah et les Évangiles à Jésus, Tu lui as donné le pouvoir de guérir le muet et le lépreux, et Tu les as protégés, lui et sa mère, de Satan le maudit, de sorte qu'il ne puisse accéder à eux »*.

Son Seigneur – Exalté soit-Il ! – lui dit alors : « Je t'ai pris comme ami [et, dans une variante : « comme ami et bien-aimé »] car il est écrit dans la Torah : "Muhammad est le bien-aimé du Miséricordieux (*ḥabîb al-raḥmân*)". Je t'ai envoyé à tous les hommes. J'ai fait des membres de ta Communauté les premiers et les derniers. J'ai fait que le discours de ta Communauté ne soit valable qu'après que l'on a reconnu que tu es Mon serviteur et Mon Envoyé. Je t'ai créé en tant que Prophète en premier (avant les autres Prophètes), et Je t'ai envoyé en dernier. Je t'ai donné les "Sept Versets redoublés" que Je n'ai accordés à aucun Prophète avant toi. Je t'ai donné les derniers versets de la sourate *al-Baqara*¹ tirés du Trésor sous Mon Trône, que je n'ai donnés à aucun Prophète avant toi ; et J'ai fait de toi un "conquérant et un Sceau" ².

AL-CHIFÂ - LA GUÉRISON À TRAVERS LA CONNAISSANCE DU RANG ET DE LA DIGNITÉ DE LÉLU MUHAMMAD (BSL) (BARAKAT MUHAMMA) (FRENCH ...

Dans une variante : « Trois choses ont été accordées à l'Envoyé de Dieu : les cinq prières quotidiennes ; les derniers versets de la Sourate *al-Baqara* ; et on a pardonné ses péchés à celui qui, parmi les membres de sa Communauté, n'associe rien à Dieu ».

Dieu – Exalté soit-Il ! – a dit : « *Le cœur n'a pas menti sur ce qu'il a vu. Mettez-vous donc en doute ce qu'il voit ? Il l'a vu, en vérité, lors d'une autre révélation, près du Lotus de la Limite, là où se trouve le Jardin de la Demeure, au moment où le Lotus est enveloppé par ce qui le couvre. Son regard ne s'est pas détourné et n'a pas été abusé. Il a vu, en vérité, le plus grand des Signes de son Seigneur. Mettez-vous donc en doute ce qu'il voit ?* »³. Il a vu Gabriel dans sa forme réelle : il avait six cents ailes.

Et dans la version de Sharîk : « Il a vu Moïse au septième ciel, puis il a eu l'honneur d'aller plus haut encore : là où seul Dieu sait. Moïse dit alors : "Je ne pensais pas que quelqu'un pouvait être élevé au-dessus de moi !" »

On rapporte d'Anas : « Le Prophète a dirigé la prière pour les Prophètes à Jérusalem ».

Et ces paroles du Prophète : « *Un jour, j'étais assis quand Gabriel entra. Il me donna un léger coup entre les épaules, et j'allai vers un arbre où il y avait comme deux nids d'oiseau. Il s'assit dans l'un d'eux et moi dans l'autre. Je me suis endormi et [l'arbre grandit tellement] qu'il couvrit l'espace entre l'Orient et l'Occident. Si je voulais, j'aurais pu toucher le ciel, et je ne cessais de regarder tout autour. Puis, je tournai mon regard vers Gabriel : il ressemblait à une fine étoffe transparente. Je sus alors l'immense degré de sa connaissance de Dieu par rapport au mien. Puis, on m'ouvrit la porte du ciel, et je vis la "Lumière suprême" (al-nûr al-a'zam), et on baissa le voile devant moi. Ses ouvertures étaient de perles et de rubis. Puis Dieu m'a révélé ce qu'Il m'a révélé* ».

Al-Bazzâr a rapporté, d'après 'Alî b. Abû Tâlib ﷺ :

« Lorsque Dieu – Exalté soit-Il ! – voulut enseigner l'appel à la prière (*al-adhân*) à Son Envoyé, Gabriel lui amena une monture appelée *al-Burâq*.

Quand il s'apprêta à monter sur son dos, elle devint indocile. Gabriel lui dit alors : "Calme-toi ! Par Dieu ! Jamais un serviteur plus noble auprès de Dieu que Muhammad b. 'Abd Allâh n'est monté sur ton dos !" Il monta sur son dos et arriva jusqu'au Voile le plus proche du Miséricordieux – Exalté soit-Il ! – . Un Ange sortit alors de derrière le Voile, et l'Envoyé de Dieu demanda : "Ô Gabriel ! Qui est-ce ?" Gabriel répondit : "Par Celui qui t'a envoyé avec la Vérité ! De toutes les créatures, je suis celui qui occupe la position la plus proche. Quant à cet Ange, je ne l'ai jamais vu depuis ma création jusqu'à maintenant !"

L'Ange dit alors : "Dieu est Grand ! Dieu est Grand !" Une Voix dit alors de derrière le Voile : "Mon serviteur dit vrai. Je suis le plus Grand ! Je suis le plus Grand !"

Puis l'Ange ajouta : "J'atteste qu'il n'y a d'autre divinité que Dieu !" Une Voix dit alors de derrière le Voile : "Mon serviteur dit vrai. Je suis Dieu et il n'y a pas d'autre divinité que Moi !" Il en fut de même pour le reste de l'appel à la prière, sauf que [l'Ange] n'a pas mentionné de réponse aux paroles : "Venez à la prière ! Venez aux succès !"

Il a dit ensuite : "Puis, l'Ange prit la main de Muhammad et le fit avancer. Il dirigea ainsi la prière pour les habitants du ciel parmi lesquels se trouvaient Adam et Noé ».

Abû Ja'far Muhammad b. 'Alî b. al-Ḥusayn, le narrateur de cette tradition a dit : « Dieu a parachevé la dignité de Muhammad [et l'a élevée] au-dessus des habitants des cieux et de la terre ».

Le « Voile » évoqué dans cette tradition se rapporte à la créature, et non pas au Créateur. Car ce sont elles qui sont voilées, alors que le Créateur – que son Nom soit magnifié ! – transcende tout voile. Les voiles enveloppent ce qui est défini et sensible. Or, Il Se voile aux regards de Ses créatures, à leur intuition et à leur perception par ce qu'Il veut et quand Il le veut, conformément à Sa parole : « *Que non ! Ils seront, ce Jour-là, séparés de leur Seigneur par un voile* »¹.

Aussi, par le « Voile » mentionné dans cette tradition, il faut comprendre ceci : « C'est un Voile derrière lequel Dieu a nié aux Anges la capacité de contempler Sa Puissance, Sa Grandeur, les merveilles de Son

Royaume et de Son Omnipotence ! » Et ceci est indiqué par la parole de Gabriel : « Quant à cet Ange, je ne l'ai jamais vu depuis ma création jusqu'à maintenant ! » Ces paroles indiquent clairement que ce Voile ne se rapporte pas à l'Essence divine (*al-dhât*). Ceci est aussi confirmé par l'explication suivante de Ka'b à propos du « Lotus de la Limite » : « C'est à cet Arbre que s'arrête la connaissance des Anges, et c'est là qu'ils trouvent l'Ordre de Dieu. Leur connaissance ne peut dépasser ce degré ».

Quant à cette parole : « devant le Voile le plus proche du Miséricordieux », elle doit être interprétée en supprimant le complément, autrement dit : « le Voile le plus proche du Trône du Miséricordieux, ou de Ses Signes suprêmes, ou encore des prémisses des réalités de la Science qu'Il détient, comme dans Sa Parole : "*Interroge la cité !*"¹, c'est-à-dire : "les gens de la cité" ».

Quant à sa parole : « Une Voix dit alors de derrière le Voile : "Mon serviteur dit vrai. Je suis le plus Grand ! Je suis le plus Grand !" », le sens littéral indique qu'il a entendu dans cette station les Paroles de Dieu, mais de derrière un voile, comme dans Sa Parole : « *Il n'a pas été donné à un mortel que Dieu lui parle, si ce n'est par inspiration ou derrière un voile* »², c'est-à-dire : sans Le voir, car Dieu a voilé son regard.

S'il est confirmé que Muhammad a effectivement vu son Seigneur – Exalté et Magnifié soit-Il ! – , il est alors vraisemblable que cela eut lieu avant ou après cette circonstance. Le Voile a été soulevé, et il a ainsi pu Le voir. Mais Dieu en sait plus !

Section 3

Du Voyage nocturne : a-t-il eu lieu spirituellement ou physiquement ?

Les Anciens et les savants divergent sur la question suivante : le Voyage nocturne du Prophète a-t-il eu lieu avec son esprit (*al-rûh*) ou avec son corps (*al-jasad*) ?

Il y a trois opinions sur la question :

Un groupe retient qu'il a voyagé avec son esprit, et qu'il s'agit d'une vision survenue dans l'état de sommeil, bien qu'ils soient d'accord sur le fait que la vision des Prophètes soit véridique, et qu'il s'agit d'une révélation (*wahy*). Mu'âwiyya était de cet avis. On a dit qu'al-Ḥasan [al-Basrî] partageait cette idée³, bien que l'opinion contraire soit celle qu'on connaît de lui, comme l'a indiqué Muhammad Ibn Ishâq⁴. Leur argument est ce verset du Coran : « *Nous voulions seulement que la vision que Nous t'avons fait voir, et l'arbre maudit mentionné dans le Coran, servent d'épreuve pour les hommes* »⁵ ; et cette parole de 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – : « Je n'ai pas perdu de vue le corps de l'Envoyé de Dieu » ; et ces paroles du Prophète : « *Alors que je dormais...* », et celles d'Anas : « Alors qu'il [= le Prophète] dormait dans l'Enceinte sacrée [...] . Puis, il a dit : "*Je me suis alors réveillé dans l'Enceinte sacrée*" ».

La majorité des Anciens et des musulmans considèrent, quant à eux, qu'il s'agit d'un Voyage (nocturne) avec le corps en état de veille. Et ceci est la vérité !

C'est l'avis d'Ibn 'Abbâs, de Jâbir, d'Anas, de Ḥudhayfa, de 'Umar, d'Abû Hurayra, de Mâlik b. Ṣa'sa'a, d'Abû Ḥabba al-Badrî, d'Ibn Mas'ûd, d'al-Dahḥâk, de Sa'îd b. Jubayr, de Qatâda, d'Ibn al-Musayyab, d'Ibn Shihâb, d'Ibn Zayd, d'al-Ḥasan [al-Basrî], d'Ibrâhîm [al-Nakh'î], de Masrûq, de Mujâhid, de 'Ikrima, d'Ibn Jurayj ; et cela est attesté par les propos de 'Āisha. C'est aussi ce que soutiennent Ṭabarî, Ibn Ḥanbal, un très grand nombre de musulmans. C'est aussi la position de la plupart des savants parmi les juristes, les traditionnistes, les théologiens et les exégètes.

Un autre groupe soutient que le Voyage eut lieu avec le corps et en état de veille jusqu'à Jérusalem, puis l'Ascension au ciel avec l'esprit. Ils s'appuient sur Sa Parole : « *Gloire à Celui qui a fait voyager de nuit Son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée lointaine* »¹.

Ils retiennent que l'expression coranique : « **à la Mosquée lointaine** » est le but ultime du Voyage, qui a étonné par la grandeur de sa puissance, et qui est la cause de l'éloge, de l'honneur et de la dignité du Prophète

Ceux qui partagent cet avis disent : si le Voyage avec son corps fut au-delà de la « **Mosquée lointaine** », Il [Dieu] l'aurait mentionné pour que l'éloge soit plus significatif. En outre, ils ont divergé à propos de la prière à Jérusalem.

Dans la tradition rapportée par Anas et d'autres, la prière à Jérusalem eut effectivement lieu ; mais Hudhayf b. al-Yamân l'a nié et a dit : « Par Dieu ! Ils n'ont cessé d'être sur al-Burâq jusqu'à leur retour ! »

Ce qui est vrai et authentique, si Dieu le veut ! c'est qu'il s'agit bien d'un Voyage avec le corps et l'esprit dans le récit entier.

Ceci est attesté par le verset coranique, les traditions authentiques, la réflexion et le bon sens. On ne peut s'écarter du sens littéral et de la vérité, et recourir à l'interprétation qu'en cas d'impossibilité. Or, dans le Voyage avec son corps et en état de veille, il n'y a aucune impossibilité !

S'il avait eu lieu durant le sommeil, Dieu aurait dit : « [Gloire à Celui qui a fait voyager de nuit] *l'esprit de Son serviteur* », et non « [Gloire à Celui qui a fait voyager de nuit] Son serviteur ».

Et Il n'aurait pas dit non plus : « **Son regard ne s'est pas détourné et n'a pas été abusé** »¹. En outre, s'il s'agissait d'un rêve (*manâm*), ce ne serait pas un signe ni un miracle. Les incroyants ne l'auraient pas rejeté ni nié ; et les musulmans faibles [qui avaient fermement cru en ce miracle] auraient probablement apostasié et se seraient divisés.

On ne nie pas le fait que des rêves de ce genre puissent avoir lieu ; or, ce n'est pas du tout le cas ici, puisque ses contemporains étaient convaincus que ce Voyage a bien eu lieu avec son corps et en état de veille. En effet, dans la tradition, il est rapporté qu'il a dirigé la prière des Prophètes à Jérusalem, selon Anas, ou au ciel, selon d'autres versions ; et sont rapportés aussi : l'arrivée de Gabriel en compagnie de Burâq, l'Ascension, l'ouverture des cieux, des questions posées par les Prophètes à chaque ciel, leur chaleureux accueil, l'imposition des prières et son échange avec Moïse.

Dans une tradition, il a dit : « *Gabriel me prit par la main pour monter au ciel. Puis on m'a fait monter au ciel jusqu'à atteindre un degré où j'ai entendu le crissement des plumes* »². Il est aussi ajouté, dans la même version, qu'il a atteint le « Lotus de la Limite », qu'il est entré au Paradis, et qu'il a bien vu ce qu'il a rapporté.

Ibn 'Abbâs – que Dieu soit satisfait de lui et de son père ! – a dit qu'il s'agissait d'une vision avec les yeux, et non pas un rêve durant le sommeil.

Al-Hasan [al-Baṣrî] rapporte que le Prophète a dit : « *Alors que je dormais dans le Hijr, Gabriel arriva et me donna un léger coup avec son talon. Je me réveillai, mais, ne voyant rien, je retournai dormir* ». Il a indiqué que cet épisode se répéta trois fois, puis ajouta : « *[la troisième fois], il me prit le bras et m'entraîna jusqu'à la porte de la Mosquée où se trouvait une monture* ». Puis il rapporta l'histoire de Burâq.

Quant à Umm Hânî³, elle a rapporté : « Le Voyage de l'Envoyé de Dieu a eu lieu à partir de chez moi. Cette nuit-là, il fit la prière du soir (*al-'ishâ*) puis s'endormit. À l'aube, l'Envoyé de Dieu nous réveilla. Il pria et nous priâmes avec lui, puis il me dit : “Ô Umm Hânî ! Comme tu as pu le voir, j'ai fait avec vous la dernière prière du soir dans cette vallée, mais ensuite, je suis allé à Jérusalem où j'ai prié. Et comme vous pouvez le voir, j'ai fait avec vous cette prière maintenant” ».

Ceci indique qu'il a bien effectué le Voyage nocturne avec son corps.

Selon la version rapportée par Shaddâd b. Aws, Abû Bakr a dit au Prophète au lendemain de son Voyage : « Ô Envoyé de Dieu, je t'ai cherché hier soir à l'endroit où tu te trouvais, mais en vain ». Il lui répondit : « *Gabriel – que la Paix soit sur lui ! – m'a conduit à la Mosquée lointaine* ».

Quant à 'Umar a, il rapporte que l'Envoyé de Dieu a dit : « *La nuit de mon Voyage, j'ai prié au fond de*

la Mosquée [de Jérusalem], puis je suis entré à l'endroit où se trouve “le Rocher” (al-sakhra). J'y trouvai un Ange debout avec trois récipients... »

Ces déclarations sont claires et ne doivent pas être interprétées.

Abû Dharr a dit : « *Alors que je me trouvais à La Mecque, le plafond de ma maison fut fendu. Gabriel descendit et m'ouvrit la poitrine. Il la lava avec de l'eau de Zamzam...* »

Dans la version d'Anas a : « *On est venu me chercher, et on m'a conduit à la source Zamzam où on a ouvert ma poitrine* ».

Abû Hurayra rapporte que le Prophète a dit : « *J'étais près du Hijr pendant que les gens de Quraysh me questionnaient sur mon Voyage nocturne. Ils m'interrogèrent alors sur certaines choses dont je ne me rappelais pas, et j'en fus très affligé. Dieu me montra alors ces choses de sorte que je puisse bien les voir* ». Jâbir rapporte une version similaire.

Dans la tradition sur le Voyage nocturne rapportée par 'Umar b. al-Khattâb a, il y est dit : « *Puis je suis revenu auprès de Khadija qui n'avait pas change de côté durant son sommeil* ».

Section 4

Réfutation des arguments de ceux qui prétendent qu'il s'agit d'un rêve

Ces derniers utilisent comme premier argument le verset suivant : « **Nous voulions seulement que la vision (al-ru'yâ) que Nous t'avons fait voir, et l'arbre maudit mentionné dans le Coran, servent d'épreuve pour les hommes** »¹, et disent : Dieu l'a clairement appelé « vision » (*al-ru'yâ*).

Nous leur répondons alors par la Parole de Dieu : « **Gloire à Celui qui a fait voyager de nuit (asrâ) Son serviteur** »², car le terme « *asrâ* », voyager de nuit, ne s'utilise pas pour le sommeil.

En outre l'expression coranique : « **une épreuve pour les hommes** », indique qu'il s'agit d'une vision avec les yeux et d'un Voyage Nocturne avec le corps, car il n'y a pas d'épreuve dans le rêve, et personne ne peut le nier, car chacun peut se voir en rêve à un même moment en des lieux différents de l'univers.

Ceci étant, les exégètes ont divergé à propos de ce verset¹ : certains ont soutenu qu'il a été révélé à propos de l'épisode d'al-Hudaybiyya² et des sentiments éprouvés par les gens à cette occasion. D'autres ont déclaré d'autres choses.

Quant à leur deuxième argument, [ils le fondent ainsi] : il [le Prophète] a dit : « *durant le sommeil* », et ailleurs : « [j'étais dans] un état entre le sommeil et la veille », « *je dormais* », et : « *puis, je me suis réveillé* ». Or, ceci ne constitue pas une preuve, car il est vraisemblable qu'il dormait au moment où l'Ange est arrivé, ou au début du Voyage. En effet, il n'est pas dit dans la tradition sur le Voyage Nocturne qu'il dormait durant tout le Voyage et l'Ascension. Cela est prouvé par sa parole : « *puis, je me suis réveillé à la Mosquée sacrée* ». Peut-être entendait-il : « Je me suis retrouvé au matin... », ou qu'il s'est réveillé une seconde fois après s'être rendormi à la maison ? Ceci est prouvé par le fait que son Voyage nocturne n'a pas duré toute la nuit, mais seulement une partie. Aussi, rien n'indique qu'il était endormi durant tout le récit.

Il se peut aussi que, par sa parole : « *puis, je me suis réveillé à la Mosquée sacrée* », il entende, après avoir été ébloui par ce qu'il a vu parmi les merveilles du royaume des cieux et de la terre, et après sa contemplation du Plérôme suprême (*al-mala' al-a'lâ*) et des Signes grandioses de son Seigneur qui avait envahi son intérieur.

Aussi, il ne s'est réveillé et n'a revêtu sa nature humaine qu'une fois revenu à la Mosquée sacrée. Et même si on considérait son sommeil et son réveil réels, selon la définition de ces deux termes, on peut aussi comprendre par là que son corps a voyagé alors que son cœur était présent.

En effet, la vision des Prophètes est véridique. Leurs yeux dorment mais leur cœur ne dort pas³.

Les « gens des allusions subtiles »⁴ (*ashĥab al-ishĥârât*) ont dit : ses yeux ont été fermés pour qu'aucune chose sensible ne le détourne de Dieu – Exalté soit-Il ! –, sauf lorsqu'il dirigea la prière pour les Prophètes. Il est vraisemblable que ses états variaient durant le Voyage.

Une autre possibilité est que par « sommeil », ici, il faut comprendre la position allongée du dormeur, et ceci est soutenu par la tradition suivante rapportée par 'Abd b. Ĥumayd, d'après Hammâm, où le Prophète a dit : « *Alors que je dormais...* », ou encore : « *Alors que j'étais allongé...* », ou, dans la version rapportée par Hudba : « *Alors que je dormais dans le Ĥaĥīm*¹ » ou : « *allongé dans le Ĥijr* ».

Dans une autre version encore, il a dit : « *Alors que j'étais dans un état entre le sommeil et la veille* » : il a peut-être attribué à la posture allongée le terme « sommeil », car c'est la position généralement connue de celui qui dort.

Par ailleurs, d'autres ont soutenu ces indications supplémentaires : la mention du sommeil, de l'ouverture de la poitrine et du rapprochement du Seigneur – Exalté soit-Il ! – figurant dans cette tradition proviennent de la version transmise par Sharĥ, d'après Anas. Or, nous avons déjà dit que la chaîne de transmission de celle-ci n'était pas fiable, puisque « l'ouverture de la poitrine », selon les traditions authentiques, eut lieu durant l'enfance du Prophète et avant la Révélation, et parce qu'il est dit dans la Tradition : « avant qu'il ne soit envoyé en tant que Prophète ».

Il est unanimement reconnu que le « Voyage nocturne » eut lieu après que le Prophète eut reçu sa Mission. En outre, Anas a précisé qu'il avait rapporté sa version d'après d'autres narrateurs, et qu'il n'avait pas entendu ces paroles directement du Prophète .

Une fois, il a dit l'avoir entendue de Mâlik b. Ṣa'ṣa'a, et dans le *Recueil* de Muslim : il est probable qu'il [Anas] l'ait entendu de Mâlik b. Ṣa'ṣa'a.

Une autre fois, il a dit : « Abû Dharr a fait le récit suivant... »

Quant à ces paroles de 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – : « Je n'ai pas perdu de vue le corps de l'Envoyé de Dieu », il est fort probable qu'elles ne soient pas d'elle, car elle n'était pas encore son épouse ni à l'âge du discernement. Il est même probable qu'elle n'était pas encore née. En effet, selon al-Zuhrī, et d'autres qui partagent son avis, le « Voyage nocturne » eut lieu au début de l'avènement de l'Islam, et un an et demi après que le Prophète eut été mandaté [en tant que Messenger de Dieu] (*al-mab'ath*).

Durant l'Hégire [de La Mecque à Médine], 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – avait à peu près huit ans. Certains ont dit que le « Voyage nocturne » eut lieu cinq avant l'Hégire, d'autres ont dit : un an avant. Il est vraisemblable qu'il eut lieu cinq ans avant l'Hégire. Le prouver requerrait trop de temps ; or, ce n'est pas notre but ici.

Aussi, si 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – n'a pas été témoin de cet épisode, il est possible qu'elle ait rapporté cette tradition de quelqu'un d'autre et, par conséquent, on ne peut privilégier la sienne par rapport aux autres versions qui disent autre chose, comme c'est le cas de la tradition rapportée par Umm Hânī' et d'autres.

La tradition de 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – n'est donc pas plus certaine que les autres, hormis celle d'Umm Hânī', et ce qu'a dit Khadĥja – que Dieu soit satisfait d'elle ! – que Dieu soit satisfait d'elle ! En outre, dans sa tradition, il est dit : « Je n'ai pas perdu de vue le corps de l'Envoyé de Dieu », alors que le Prophète l'a épousée à Médine !

En revanche, ce qui est certain, c'est que dans sa tradition, elle nie que [le Prophète] a vu son Seigneur de ses yeux, et elle ne nie pas qu'il L'a vu en rêve.

Si on dit, Dieu – Exalté soit-Il ! – a dit : « *Le cœur n'a pas menti sur ce qu'il a vu* »¹, ceci indique clairement qu'il a vu son Seigneur avec son cœur. Il s'agit donc d'une vision dans le rêve, ou par révélation, et non avec ses yeux ou ses sens.

Nous répondons que ceci est infirmé par cette autre Parole divine : « *Son regard ne s'est pas détourné et n'a pas été abusé* »². Dieu a ramené la vision (*al-ru'yâ*) au regard (*al-baṣar*). Les exégètes ont expliqué le verset : « *Le cœur n'a pas menti sur ce qu'il a vu* » de la manière suivante : le cœur n'a pas fait imaginer une autre réalité à l'œil, mais a confirmé la vision de l'œil. On a dit aussi : son cœur n'a pas nié ce que ses yeux ont vu.

Section 5 Sa vision de son Seigneur

Les Anciens ont divergé sur la question de la vision du Prophète de son Seigneur – Magnifié et Exalté soit-Il ! 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – l'a niée.

En effet, Abû al-Ĥusayn Sirāj b. 'Abd al-Mâlik al-Ĥâfīz nous a rapporté d'après son père, Abû 'Abd Allāh b. 'Attāb *al-faqīh*, *al-Qāḍī* Yūnus b. Muĥĥith, Abû al-Faḍl al-Ṣiqilī, Thābit b. Qāṣim b. Thābit, de son père, de son grand-père, de 'Abd Allāh b. 'Alī, Maĥmūd b. Adam, Wakī', Ibn Abû Khālīd , 'Amir rapporte que Masrūq a demandé à 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! – : « Ô Mère des croyants ! Muhammad a-t-il vu son Seigneur ? »

Elle répondit : « Mes cheveux se dressent sur la tête par tes propos ! Celui qui te rapporte l'une de ces trois choses te ment ! Celui qui te dit que Muhammad a vu son Seigneur te ment ! » Puis elle récita le verset suivant : « *Les regards ne L'atteignent pas, mais Il saisit les regards. Il est le Subtil, Celui qui est informé de tout* »¹.

Un groupe de Compagnons était du même avis que 'Āisha – que Dieu soit satisfait d'elle ! C'était le cas d'Ibn Mas'ūd, et d'Abû Hurayra qui a dit : « Il a vu Gabriel ».

Des traditionnistes, des juristes et des théologiens ont également nié cela, et ont affirmé l'impossibilité de voir Dieu en ce monde.

Ibn 'Abbās – que Dieu soit satisfait de lui et de son père ! – a dit : « Il L'a vu de ses yeux ! » 'Atā' rapporte aussi de lui qu'il a dit : « Il L'a vu avec son cœur ».

De son côté, Abû al-'Aliya affirme qu'il L'a vu à deux reprises avec son cœur.

Quant à Ibn Ishāq, il rapporte qu'Ibn 'Umar a envoyé une lettre à Ibn 'Abbās pour lui demander si Muhammad avait vu son Seigneur, et que ce dernier répondit par l'affirmative.

L'avis notoire d'Ibn 'Abbās sur la question est que le Prophète a vu son Seigneur de ses yeux. Cet avis figure clairement dans diverses traditions.

En effet, il [Ibn 'Abbās] a dit : « Dieu – Exalté soit-Il ! – a singularisé Moïse par Sa Parole, Abraham par Son amitié et Muhammad par Sa Vision, que la Prière et la Paix soient sur eux ! » Il s'est appuyé pour cela sur ces Paroles divines : « *Le cœur n'a pas menti sur ce qu'il a vu. Mettez-vous donc en doute ce qu'il voit ? Il l'a vu, en vérité, lors d'une autre révélation* »².

Al-Māwardī a dit : « On a dit que Dieu – Exalté soit-Il ! – a partagé Sa Parole et Sa Vision entre Moïse et Muhammad, que la Prière et la Paix soient sur eux ! Muhammad L'a vu deux fois et Moïse Lui a parlé deux fois ».

Cette tradition a été rapportée par Abû al-Faḥ al-Rāzī et Abû al-Layth al-Samarqandī, d'après Ka'b [al-Aḥbār].

'Abd Allāh b. al-Ĥārith rapporte : « Ibn 'Abbās et Ka'b se rencontrèrent. Ibn 'Abbās dit alors : “Nous, les Banû Hāshim, affirmons que Muhammad a vu son Seigneur deux fois”. Ka'b prononça alors la formule : “Dieu est Grand !” et sa voix fut si puissante que les montagnes lui répondirent [par son écho] ! Puis il dit : “Dieu a partagé Sa vision et Sa Parole entre Muhammad et Moïse. Moïse Lui a parlé et Muhammad L'a vu avec son cœur” ».

Sharĥ rapporte qu'Abû Dharr a expliqué le verset précédent en disant : « Le Prophète a vu son Seigneur »,

Al-Samarqandî a rapporté, d'après Muhammad b. Ka'b al-Quraẓî et Rabî' b. Anas, que lorsqu'on demanda au Prophète : « As-tu vu ton Seigneur ? » il répondit : « *Je L'ai vu avec mon cœur et je ne L'ai pas vu avec mes yeux* »¹.

Mâlik b. Yuhâmir² rapporte, d'après Mu'âdh [b. Jabal], que le Prophète a dit : « *J'ai vu mon Seigneur... Puis Il m'a dit : "Ô Muhammad ! Sur quoi le Plérôme suprême diverge-t-il ?"* »³.

'Abd Al-Razzâq rapporte qu'al-Ḥasan jurait par Dieu que Muhammad a avait vu son Seigneur. Cela est rapporté également par Abū 'Umar al-Talamankî, d'après 'Ikrima.

Certains théologiens attribuent aussi ces propos à Ibn Mas'ûd.

Ibn Ishâq rapporte que Marwân demanda à Abū Hurayra : « Est-ce que Muhammad a vu son Seigneur ? » Il lui répondit par l'affirmative.

Al-Naqqâsh rapporte qu'Ahmad b. Ḥanbal a continué d'affirmer jusqu'à la mort : « Quant à moi, je dis ce qu'Ibn 'Abbâs a dit : "Il L'a vu de ses yeux" ».

Abū 'Umar a dit : « Ahmad b. Ḥanbal a affirmé qu'il L'a vu avec son cœur, et n'a pas osé dire qu'il L'avait vu de ses yeux en ce monde ».

Sa'îd b. Jubayr a dit : « Je ne dis pas qu'il L'a vu, ni qu'il ne L'a pas vu ».

Il y a des divergences entre Ibn 'Abbâs, 'Ikrima, al-Ḥasan et Ibn Mas'ûd à propos de l'interprétation du verset coranique. En effet, on rapporte qu'Ibn 'Abbâs et 'Ikrima ont dit : « Il L'a vu avec son cœur », alors qu'al-Ḥasan et Ibn Mas'ûd ont dit : « Il a vu Gabriel ».

'Abd Allâh, le fils d'Ahmad b. Ḥanbal, rapporte que son père a dit : « Il L'a vu ».

À propos du verset coranique : « ***Ne t'avons-Nous pas dilaté la poitrine ?*** »⁴ Ibn 'Atâ' a dit : « Il lui a dilaté la poitrine pour Sa Vision, et Il a dilaté la poitrine de Moïse pour Sa Parole ».

La position d'Abū al-Ḥasan 'Alî b. Ismâ'îl al-Ash'arî⁵, et d'un certain nombre de ses disciples, est claire : ils soutiennent qu'il a vu Dieu – Exalté soit-Il ! – avec son regard (*baṣar*) et ses yeux (*'ayn*).

[Al-Ash'arî] a dit : « Notre Prophète a reçu tous les Signes qu'ont reçus les Prophètes, que la Paix soit sur eux ! Et il a reçu en particulier la Vision, en guise de distinction par rapport à eux ».

Un de nos maîtres a dit : Il n'y a pas de preuve incontestable à cela, mais il est permis qu'il en soit ainsi.

Il est incontestable que sa vision de Dieu – Exalté soit-Il ! – en ce monde est rationnellement permise, et rien dans la raison ne peut la rendre impossible. La preuve de cette possibilité, c'est que Moïse – que la Paix soit sur lui ! – l'avait demandée ; or, il est impossible qu'un Prophète ignore ce qui est permis et ce qui ne l'est pas à l'endroit de Dieu. Bien plus, il ne peut demander que ce qui est permis et non impossible.

Mais la réalisation de cette demande et la possibilité de voir Dieu relèvent du mystère (*al-ghayb*) que ne connaît que celui que Dieu a instruit.

En effet, Dieu – Exalté soit-Il ! – lui a dit : « ***tu ne Me verras pas !*** »¹, autrement dit : tu n'as pas la force ni la capacité de supporter Ma Vision. Puis, Il lui a donné l'exemple de ce qui est plus fort et plus ferme que lui, c'est-à-dire la Montagne [qui fut réduite en poussière lorsqu'Il se manifesta à elle].

Ceci n'infirme pas la possibilité de Le voir en ce monde, mais renferme plutôt la permission générale de Sa Vision.

Il n'y a pas, dans la Loi révélée (*al-shar'*), de preuves irréfutables qui confirment cette impossibilité et l'interdiction d'une telle vision, car il est possible et permis de voir tout ce qui existe. On ne peut déclarer que Sa Vision est interdite en prenant pour preuve cette Parole de Dieu – Exalté soit-Il ! – : « ***les regards ne L'atteignent pas*** », car celle-ci a fait l'objet de diverses interprétations, et parce que la déclaration de celui qui a dit : « [Sa vision est impossible] en ce monde » n'entraîne pas nécessairement que la vision de Dieu soit impossible.

En effet, certains exégètes se sont fondés sur ce même verset pour affirmer que Sa vision est permise et

non absolument impossible.

Certains ont dit : les regards des incroyants ne L'atteignent pas.

D'autres ont dit : « ***les regards ne L'atteignent pas*** » signifie qu'ils ne L'embrassent pas. C'est l'interprétation d'Ibn 'Abbâs.

D'autres : « ***les regards ne L'atteignent pas*** », mais ceux qui voient (*al-mubṣirîn*).

Toutes ces interprétations n'impliquent pas l'interdiction de la vision ni son impossibilité.

De même que Ses Paroles : « ***Tu ne Me verras pas*** »¹, « ***me voici revenu à Toi*** »², ne constituent pas une preuve, comme nous l'avons déjà dit. Car il ne s'agit pas d'une impossibilité absolue. Celui qui a dit que ce verset signifie : « tu ne Me verras pas en ce bas monde » ne fait qu'une interprétation [parmi tant d'autres].

De plus, ce verset ne comporte pas d'interdiction absolue, mais concerne Moïse. Et du moment que les interprétations et les suppositions sont nombreuses, on ne peut donc trancher la question.

Quant à la parole [de Moïse] : « ***me voici revenu à Toi*** », elle concerne sa demande de [Le voir] : c'est-à-dire qu'il s'en remet à Lui pour ce qu'Il lui a destiné.

À propos de Sa Parole : « ***Tu ne Me verras pas*** », Abū Bakr al-Hudhalî a dit : « Il n'est pas dans le pouvoir de l'homme de Me regarder en ce monde, et celui qui Me regarde meurt ».

J'ai lu chez certains Anciens et contemporains que Sa vision – Exalté soit-Il ! – dans ce monde est impossible en raison de la faible constitution des hommes et des limites de leurs facultés. En effet, ces facultés varient, sont exposées aux fléaux, et destinées à périr. Aussi, les hommes ne sont pas dotés du pouvoir [qui leur permet] Sa vision. Mais, dans l'Autre monde, ils seront revêtus d'une autre constitution et seront dotés de facultés fermes et pérennes. Leur vue et leur cœur pourront accueillir des lumières parfaites et soutenir la Vision.

J'ai retrouvé quelque chose de similaire chez Mâlik b. Anas. En effet, il a dit : « On ne Le voit pas en ce monde car Il est éternel (*bâqî*) ; or, ce qui est éternel ne peut être appréhendé par ce qui est mortel (*fâni*). Dans l'Au-delà, les hommes seront dotés d'une vue immortelle, et ils pourront alors voir l'Éternel par ce qui est perpétuel ».

Il s'agit de propos sensés et agréables, mais qui ne comportent aucun argument sur l'impossibilité de la vision, hormis la faible capacité humaine. Ainsi, si Dieu – Exalté soit-Il ! – dote qui Il veut parmi Ses serviteurs du pouvoir de supporter le fardeau de Sa vision, celle-ci n'est plus impossible.

Nous avons déjà évoqué ce qui a été dit à propos de la force, et de la portée de la vue de Moïse et de Muhammad – que la Prière et la Paix soient sur eux !-, dont ils ont été dotés pour appréhender ce qu'ils ont perçu, et regarder ce qu'ils ont vu. Et Dieu est Plus Savant !

Le *Qâḍî* Abū Bakr [al-Bâqilânî] a dit dans ses réponses sur ces deux versets ce qui suit : « Moïse – que la Prière et la Paix soient sur lui ! – a vu Dieu, et voilà pourquoi il a été foudroyé. La Montagne a vu son Seigneur, et voilà pourquoi elle a été réduite en poussière, en vertu d'une perception dont Dieu l'a munie ».

Il a probablement déduit ces propos – et Dieu est Plus Savant ! – du verset suivant : « ***Tu ne Me verras pas, mais regarde vers la Montagne ; si elle demeure à sa place, tu Me verras enfin*** »¹.

Puis, Dieu a dit dans ce même verset : « ***Mais lorsque son Seigneur Se manifesta à la Montagne, Il la réduisit en poussière et Moïse tomba foudroyé. Lorsqu'il revint à lui, il s'écria : "Gloire à Toi ! Me voici revenu à Toi et je suis le premier des croyants !"*** » Selon cette interprétation, Sa théophanie à la Montagne est donc Sa manifestation à lui afin qu'il Le voie.

Pour sa part Ja'far b. Muhammad a dit : « Dieu l'a distraité avec la Montagne jusqu'à ce qu'Il Se manifestât à lui. Sans quoi, il aurait péri foudroyé ». Ces paroles prouvent que Moïse L'a vu.

Pour certains exégètes, la vision citée dans ce récit coranique prouve la possibilité que Muhammad a vu son Seigneur. Ces versets ne comportent aucun doute sur cette possibilité.

Quant à sa réalisation par notre Prophète , et à l’affirmation qu’il L’a vu de ses yeux, il n’existe pas non plus de texte explicite, mais on s’appuie généralement sur les trois versets suivants de la sourate *al-Najm* : « **Le cœur n’a pas menti sur ce qu’il a vu. Mettez-vous donc en doute ce qu’il voit ? Il l’a vu, en vérité, lors d’une autre révélation** »², autour desquels il y a des divergences, et dont les interprétations sont toutes vraisemblables.

Il n’y a pas de tradition certaine remontant jusqu’au Prophète qui interdise ou infirme [cette possibilité]. Ainsi, la tradition rapportée par Ibn ‘Abbâs ؓ est une opinion personnelle qu’il ne fait pas remonter jusqu’au Prophète . On doit en tenir compte. Il en est de même des propos d’Abû Dharr à propos de ce verset.

Quant à la tradition rapportée par Mu’âdh, elle se prête à l’interprétation. Et dans ce cas aussi, la chaîne de transmission est confuse et incertaine.

La tradition rapportée par Abû Dharr est aussi problématique dans les termes utilisés : dans une version, [interrogé s’il avait vu son Seigneur, le Prophète] a répondu] : « *Une Lumière (nûr) ! Comment pourrais-je Le voir ?* » ; et, dans une autre version que m’ont transmise mes maîtres : « *Je L’ai vu lumineux (nûrânîyyun)* ».

Et dans une autre version : je [Abû Dharr] lui ai demandé et il m’a répondu : « *J’ai vu une lumière* ».

Il n’est donc pas possible de s’appuyer sur l’une de ces versions pour affirmer l’authenticité de la vision.

Si on admettait que la tradition authentique est celle où il est rapporté qu’il a dit : « *J’ai vu une lumière* », cela signifierait qu’il n’a pas vu Dieu, mais une lumière qui l’a empêché de voir Dieu et l’a voilé de Sa vision. Et ceci nous ramène à la première version : « *Une Lumière (nûr) ! Comment pourrais-je Le voir ?* » dont la signification est la suivante : comment pourrais-je Le voir avec le voile de lumière qui couvre la vue ?

Et ceci est semblable à ce qui est dit dans l’autre tradition : « *Son voile est lumière* ».

Dans l’autre version, il a dit : « *Je ne L’ai pas vu avec mes yeux mais avec mon cœur, deux fois !* » ensuite il a récité le verset suivant : « **Puis Il s’approcha et demeura suspendu** »³.

Dieu a le pouvoir de créer la perception du regard du cœur, ou faire ce qu’Il veut ; il n’a n’y a de Dieu que Lui !

S’il y avait une tradition explicite concernant la vision, on serait alors contraint de la reconnaître, car il n’y a aucune impossibilité ni un argument décisif qui en nie la possible réalisation.

Section 6

De ses entretiens intimes avec Dieu, Exalté soit-Il !

À propos de son entretien intime avec Dieu, et de son échange mentionné dans Sa Parole : « **et Il révéla alors à Son serviteur ce qu’Il lui révéla** »², et dans les diverses traditions, la plupart des exégètes, sauf de rares exceptions, concordent avec le fait que Dieu révèle à Gabriel – que la Paix soit sur lui ! –, et que celui-ci révèle à son tour à Muhammad .

On rapporte que Ja’far b. Muhammad al-Ṣâdiq a dit : « Il lui a révélé sans intermédiaire ».

C’est aussi ce qu’affirment al-Wâṣitî et certains théologiens, qui ont dit : « Muhammad a parlé à son Seigneur durant son Voyage nocturne ». C’est aussi la position d’al-Ash’arî, d’Ibn Mas’ûd et d’Ibn ‘Abbâs, que Dieu soit satisfait d’eux ! D’autres l’ont nié.

Al-Naqqâsh rapporte d’Ibn ‘Abbâs, dans son récit du Voyage nocturne, à propos de cette Parole divine : « **Puis Il s’approcha et demeura suspendu** »³, [que le Prophète a dit] : « *Gabriel me quitta, et toutes les voix autour de moi s’interrompirent. J’entendis alors la Parole de mon Seigneur qui disait : “Ô Muhammad ! Calme-toi ! Rapproche-toi, rapproche-toi !”* »

Anas a rapporté une version similaire. D’autres ont nié cette version, en prenant pour argument ce verset : « **Il n’a pas été donné à un mortel que Dieu lui parle, si ce n’est par inspiration ou derrière un voile, ou bien en lui envoyant un Messager à qui est révélé, avec Sa Permission, ce qu’Il veut** »¹, et ont déclaré :

Il y a trois modes de révélation : de derrière un voile, comme dans le cas de la Parole adressée à Moïse – que la Paix soit sur lui ! – ; par l’envoi des Anges, comme dans le cas de tous les Prophètes, dont le nôtre ; et enfin le troisième mode : « **par inspiration** » (*waḥyān*).

La seule forme de Discours qui demeure est la « parole directe » (*al-mushâfaha*) associée à la contemplation (*al-mushâhada*).

On a dit aussi que « l’inspiration » signifie ici ce que Dieu projette dans le cœur du Prophète sans intermédiaire.

Abû Bakr al-Bazzâr rapporte de ‘Alî, à propos du récit du Voyage nocturne, ce qui clarifie le mode d’audition directe de la Parole de Dieu par le Prophète. En effet, [dans cette tradition, le Prophète a dit :] « *Une Voix dit alors de derrière le voile : “Mon serviteur dit vrai. Je suis le plus Grand ! Je suis le plus Grand !”* »². Et il a répété la même chose pour le reste des formules de l’appel à la prière.

Nous discuterons dans le prochain chapitre – si Dieu veut ! – du problème posé par ces deux traditions.

La Parole adressée par Dieu à Muhammad et à ceux qu’Il a choisis parmi Ses Prophètes – que la Paix soit sur eux ! – est possible, et rien de raisonnable ne peut l’empêcher ! Et aucune preuve légale tranchante ne l’interdit.

S’il y a une tradition authentique qui l’atteste, on doit alors l’admettre. Quant à la Parole que Dieu – Exalté soit-Il ! – a adressée à Moïse – que la Paix soit sur lui ! –, il s’agit d’un fait véridique et irréfutable, témoigné par le Texte [coranique], et confirmé par le recours de la racine (*al-maṣḍar*) [« **de vive voix** »]³. Et Il l’a élevé – selon la tradition – jusqu’au septième [et, selon d’autres versions, jusqu’au sixième] ciel du fait qu’Il lui avait parlé ; et Il a élevé Muhammad au-delà de tous ces lieux, jusqu’au degré où il a entendu le « crissement des plumes ». Comment peut-on alors nier cette vérité, ou retenir impossible qu’il ait pu entendre la Parole divine ?

Gloire à Celui qui favorise qui Il veut par ce qu’Il veut, et élève certains de plusieurs degrés au-dessus des autres.

Section 7

De sa proximité de son Seigneur

D’après ce qui est rapporté dans la tradition sur le Voyage nocturne et le sens littéral des versets : « **Puis Il s’approcha et demeura suspendu. Il se trouvait alors à la distance de deux arcs, ou plus près encore** »¹, la plupart des exégètes considèrent que le « rapprochement » (*al-dunûw*) et la « suspension » (*al-tadallî*) se réfèrent à Muhammad et à Gabriel – que la Paix soit sur eux ! –, ou sont particuliers à l’un d’eux à l’exclusion de l’autre, ou se réfèrent au « Lotus de la Limite ». Al-Râzî et Ibn ‘Abbâs ont dit qu’il s’agit de Muhammad qui s’était rapproché, et qui était suspendu au plus près de son Seigneur.

On a dit que le terme « rapproché » (*danâ*) signifie ici : « être près » (*qurb*) ; et le terme « suspendu » (*tadallâ*) signifie ici : « se rapprocher davantage » (*zâda fî-l-qurb*). On a dit aussi que ces deux termes signifiaient la même chose, à savoir : « *il s’approcha* ».

Makkî et al-Mâwardî rapportent, d’après Ibn ‘Abbâs ؓ : « C’est le Seigneur qui S’est rapproché de Muhammad et demeura suspendu ; c’est-à-dire : Son Ordre et Son Jugement ! »

Al-Naqqâsh rapporte d’al-Ḥasan : « Il S’est rapproché de Son serviteur Muhammad , Se tint suspendu, puis S’approcha plus près encore, et lui montra ce qu’Il a voulu lui faire voir de Sa Puissance et de Sa Grandeur ». Il ajouta : Ibn ‘Abbâs a dit : « C’est à la fois un avancement et un recul. Le “tapis” (*al-rafra*) fut déployé pour Muhammad la Nuit de son Ascension. Il s’y assit et le “tapis” s’éleva et l’emmena près de son Seigneur ». [Le Prophète] a dit : « *Gabriel me quitta, et toutes les voix autour de moi s’interrompirent. J’entendis alors la Parole de mon Seigneur...* »

Anas rapporte la tradition authentique suivante : « *Gabriel m'a fait monter jusqu'au Lotus de la Limite ; et le Tout-Puissant, le Seigneur de la Gloire, Se rapprocha et demeura suspendu à une distance de deux arcs ou moins* ». Il lui révéla alors ce qu'Il a voulu, et lui révéla aussi les cinquante prières.

Puis le narrateur a rapporté la suite de la tradition du Voyage nocturne.

Selon Muhammad b. Ka'b : c'est Muhammad qui s'est rapproché de son Seigneur et qui s'est tenu à une distance de deux arcs. Il ajouta : Ja'far b. Muhammad a dit : « Son Seigneur l'a rapproché de Lui jusqu'à une distance de deux arcs. [...] Le rapprochement de Dieu est sans limites, alors que celui des serviteurs est limité ». [Ja'far] a dit aussi : « La modalité ne peut être appliquée au rapprochement : ne vois-tu pas comment Il a voilé Gabriel de Son rapprochement ? Et comment Il a rapproché Muhammad jusqu'à remplir son cœur de connaissance et de foi ? Il demeura suspendu, car son cœur s'habitua à cette proximité, et parce que le doute et l'incertitude abandonnèrent son cœur ».

Sache que le rapprochement et la proximité de Dieu, ou vers Lui, ne doivent pas être compris ici comme un rapprochement spatial ou matériel, mais dans le sens indiqué par Ja'far al-Ṣādiq [c'est-à-dire : « la modalité ne peut être appliquée au rapprochement »], car le rapprochement et la proximité du Prophète de son Seigneur indiquent la grandeur de sa position, la noblesse son rang, la splendeur de ses connaissances, et sa contemplation des secrets de Ses mystères et de Sa Puissance. De la part de Dieu – Exalté soit-Il !-, le rapprochement et la proximité sont donc des marques de bienveillance, d'intimité, d'élargissement et de générosité. On doit les entendre de la même manière que la tradition prophétique suivante : « *Notre Seigneur descend au ciel le plus bas...* »¹, c'est-à-dire qu'il s'agit d'une descente de faveur, de bonté, d'agrément et de bienfaisance divins.

Al-Wāsiṭī a dit : « Celui qui s'imagine s'approcher [de Dieu] parle ainsi en terme de distance. Plus il croit se rapprocher de Dieu et plus il est suspendu à son éloignement. C'est-à-dire qu'il s'éloigne de la perception de sa réalité, car il n'y a pour Dieu ni rapprochement ni éloignement.

Quant à la parole coranique : « *Il se trouvait alors à la distance de deux arcs, ou plus près encore* », si le sujet est Dieu, et non pas Gabriel, cela sous-entend alors la proximité extrême, la subtilité du lieu, la clarté de la connaissance, et l'accès à la Vérité de la part de Muhammad . Tout comme cela sous-entend la réalisation du souhait, l'exaucement des demandes, la chaleur de l'accueil, l'octroi d'honneurs et de rang en la faveur de Muhammad de la part de Dieu.

On doit interpréter ce verset comme on le fait pour la sainte tradition suivante : « *Celui qui se rapproche de Moi d'un empan, Je Me rapproche de lui d'une coudée. Et celui qui vient vers Moi en marchant, Je viens vers lui en courant...* »², en considérant que la proximité signifie la réponse, l'accueil, l'octroi de faveurs et la réalisation rapide des souhaits.